

# الإسلامية المعرفية

## مجلة الفكر الإسلامى المعاصر

مجلة علمية عالمية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي

### كلمة التحرير

هيئة التحرير

- أَيْنَ هُوَ الْفِكْرُ الثَّرْتَوِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْمُعَاصِرُ؟!

### بحوث ودراسات

عبد الله الكيلاني

- الطائفية وسبل مواجهتها.

المختار الأحمر

- أهل الحل والعقد: دراسة في المفهوم والنشأة.

عبد الرزاق بلعباس

- نشأة مصطلح الاقتصاد السياسي في العالم الإسلامي: دراسة مقارنة بين الأدبيات العربية والتركيّة الأردية.

محمد ذياب

- التحيز المعرفي في تفسير الفقر: نقد لمنظور المدرسة السائدة في علم الاقتصاد.

### قراءات ومراجعات

عيسى عودة بروهومة

- الفن في الفكر الإسلامي: رؤية معرفية ومنهجية.

جميل أبو سارة

- الحاكمية والهيمنة: نحو إعادة بناء مفهوم الأمة والدولة والدعوة. تأليف: طه جابر العلواني.

بسم الله الرحمن الرحيم

## هوية المجلة وأهدافها

إسلامية المعرفة منبر مفتوح لتحاوّر العقول وتناظر الأفكار والآراء يهدف إلى:

■ إعادة صياغة المعرفة الإنسانية وفق الرؤية الكونية التوحيدية من خلال الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون.

■ الإصلاح المنهجي للفكر الإسلامي، وإعطاء الاجتهاد مفهومه الشامل بوصفه يمثل التفاعل المستمر للعقل المسلم مع الوحي الإلهي؛ سعياً لتحقيق مقاصده وأحكامه وتوجيهاته فكراً وسلوكاً ونظماً ومؤسسات، في إطار الأوضاع الاجتماعية والتاريخية المتغيرة.

■ العمل على تطوير وبلورة البديل المعرفي الإسلامي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، على أساس من التمثل المنهجي للرؤية الكونية التوحيدية والقيم الأساسية والمقاصد العليا للإسلام من ناحية، والتمثل العلمي النقدي لمعطيات الخبرة العلمية والعملية الإنسانية في عمومها وشمولها من ناحية أخرى.

وتسعى المجلة إلى تحقيق هذه الغايات والمقاصد الكبرى من خلال التركيز على المحاور

الرئيسية الآتية:

■ قضايا المعرفة: وما يتعلق بها من رؤية كلية ومنهجية في التفكير والبحث.

■ منهجية التعامل مع القرآن الكريم بوصفه أساس المرجعية الإسلامية، ومع السنة النبوية بوصفها بياناً لأحكامه وتوجيهاته.

■ منهجية التعامل مع التراث الإسلامي بوصفه تجسيداً للخبرة التاريخية للأمة، يعكس تفاعل العقل المسلم مع نصوص الوحي لتنزيل قيمه وتحقيق مقاصده في السياقين التاريخي والاجتماعي.

■ منهجية التعامل مع التراث الإنساني عموماً، والتراث الغربي خصوصاً، تعاملًا علمياً ونقدياً يستوعب حكمته وإيجابياته، ويتجاوز قصوره وسلبياته.

# الإسلامية المعرفة

## مجلة الفكر الإسلامى من مصر

مجلة علمية عالمية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمى للفكر الإسلامى

ربيع ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

العدد ٨٨

السنة الثانية والعشرون

رئيس التحرير

فتحي حسن ملكاوي

مدير التحرير

رائد جميل عكاشة

أعضاء هيئة التحرير

عبد الله إبراهيم الكيلاني

التيجاني عبد القادر حامد

مازن موفق هاشم

صباح عياشي

محمد بلدي ابـنو

عبد العزيز برغوث

المدير المسؤول للطباعة والتوزيع: ماجد أبو غزالة  
مركز معرفة الإنسان للأبحاث والدراسات والنشر والتوزيع  
<http://www.hncjo.org>

الرقم الدولي: ISSN 1729-4193

## مستشارو التحرير

تونس	عبد المجيد النجار	أمريكا	آرمين سينانوفيتش
العراق	عماد الدين خليل	البوسنة	أحمد باسج
الجزائر	عمار الطالبي	المغرب	الشاهد بوشيخي
السودان	محمد الحسن بريمة	تركيا	بكر كارليجا
لبنان	محمد السماك	اليمن	داود الحدابي
سوريا	محمد أنس الزرقا	السعودية	زكي الميلاد
ماليزيا	محمد كمال حسن	السعودية	عبد الحميد أبو سليمان
الهند	محسن عثمانى	مصر	عبد الحميد مدكور
البحرين	نزار العاني	الأردن	عبد السلام العبادي

## المراسلات

---

Chief Editor, Islamiyat al Marifah  
IIIT, 500 Grove St. 2<sup>nd</sup> Floor  
Herndon, VA 20170, USA  
E-mail: islamiyah@iiit.org

**or**

P.O.Box 9489 Amman 11191, Jordan.  
Email: iokiiit@yahoo.com

ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر الكاتب  
ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو المعهد

## محتويات العدد

### كلمة التحرير

- أين هو الفكرُ التَّربويُّ الإسلاميُّ المُعاصر؟! هئية التحرير ٥

### بحوث ودراسات

- الطائفية وسبل مواجهتها عبد الله الكيلاني ١٥
- أهل الحل والعقد: دراسة في المفهوم والنشأة وإمكانات التطبيق في العصر الحديث المختار الأحمر ٤١
- نشأة مصطلح الاقتصاد السياسي في العالم الإسلامي: دراسة مقارنة بين الأدبيات العربيّة والتركيّة الأردنيّة عبد الرزاق بلعباس ٧٩
- التحيز المعرفي في تفسير الفقر: نقد لمنظور المدرسة السائدة في علم الاقتصاد محمد ذياب ١١٣

### قراءات ومراجعات

- الفن في الفكر الإسلامي: رؤية معرفية ومنهجية. عيسى عودة برهومة ١٤٩
- الحاكمية والهيمنة: نحو إعادة بناء مفهوم الأمة والدولة والدعوة. تأليف: طه جابر العلواني جميل أبو سارة ١٦٣

### عروض مختصرة

- عليا العظم ١٧٧

### جائزة أحسن كتاب

- ١٨٧

جائزة المعهد العالمي للفكر الإسلامي لأحسن كتاب في حقلي علم الاجتماع وعلم النفس (٢٠١٨-٢٠١٩)

## كلمة التحرير

### أَيْنَ هُوَ الْفِكْرُ التَّرْبَوِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْمُعَاصِرُ!؟

#### هيئة التحرير

تعودنا أن نحدّد أربعة مصادر للفكر الإسلامي في أي مجال من مجالاته؛ في السياسة أو الاقتصاد أو السياسية أو التربية أو غيرها، وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الإسلامي، والخبرة البشرية المعاصرة. فإذا كانت هذه المصادر الأربعة هي مصادر الفكر التربوي الإسلامي، فما مدى حضور هذه المصادر في الفكر التربوي السائد في المجتمعات الإسلامية المعاصرة!؟

إنّ العالم المعاصر عالمٌ شديد التعقيد، سريع التغيّر، تتجاوزه اتجاهاتٌ فكرية وقيمية متقلّبة، ومجتمعات هذا العالم متشابكة، وتتبادل التأثير والتأثر بصورة مستمرة. ومع أنّنا نجد في هذا العالم نظريات ونظماً سياسية واقتصادية وإدارية مختلفة، فإنّ نَمّة جهوداً للأخذ ببعض الملامح العامة المشتركة التي تتضمنها اتجاهات العولمة، أو تفرضها القوى التي تقود هذه الاتجاهات، رغياً أو رهياً! ولذلك فليس من السهل أن تتحدد ملامح مجتمعاتنا القائمة اليوم واتجاهات التغيّر فيها. ومن ثمّ فليس من السهل الحكم على الفكر التربوي السائد في مجتمعات المسلمين من نظرة سطحية عاجلة.

ومع ذلك فإنّ بإمكاننا أن نتحدّث عن حضور المعاني العامة للتربية في حياة الأفراد في هذه المجتمعات؛ فثَمّة روحٌ كامنة تتلبّس النفس الإسلامية اللّوامة تجعلها تحنُّ وتمتّى أن تصطبغ بتربية الإسلام قولاً وعملاً، وثَمّة نوازع بشرية تتلبّس النفس الأمّارة بالسوء وتدفعها للتخفّف من أحكام الإسلام التربوية تماماً مع الواقع التربوي لغير المسلمين الذي يبدو زاهياً جذاباً، ولا نعدم وجود النفس المطمئنة التي تشعر بالرضا في جهودها الحثيثة لتطبيق التوجيهات التربوية الإسلامية. وربما يفيد إجراء دراسات ميدانية تحدّد الثلّة والقليل والكثير من أيّ من هذه الفئات الثلاث في كل مجتمع من المجتمعات الإسلامية.

وعلى المستوى الإداري والسياسي والقانوني نجد في المجتمعات الإسلامية قوانين وتشريعات تربوية مرجعيتها نظمٌ دولية، تفرضها منظمات دولية أو دول مهيمنة، رغماً أو رهياً، تحدّد معايير الاعتراف والقبول بالحضور الدولي أو إمكانية تلقّي الخدمات والمساعدات، وتحدد في ضوء هذه المعايير أهداف النظم التربوية وما يتصل بها من مناهج وبرامج وأساليب. وقد يسمح بعض هذه التشريعات والمعايير بمكان محدود لحضور "إسلامي محلي"، على استحياء أحياناً، وبفخر واعتزاز أحياناً أخرى، يتمثّل هذا الحضور المحدود في صورة خصوصيات ثقافية تاريخية، أو أعراف اجتماعية. أمّا العناصر الأكثر أهمية من النظام التربوي فإنها تفتقد الصلة بالمرجعية الإسلامية. وربما كان نجاح قوى العولمة في خضوع مجتمعات المسلمين لها في المجال التربوي أكبر من نجاحها في مجتمعات غير المسلمين في هذا المجال، وأكثر من نجاحها في المجالات الأخرى السياسية والإدارية وغيرها.<sup>١</sup>

يظهر ذلك بصورة واضحة في جميع وسائل التربية والتعليم؛ في عولمة نظم التعليم العام والتعليم الجامعي، وفي سياسات هذه النظم وبرامجها ومناهجها، وفي موقع الأسرة ومهمتها في تنشئة الأبناء وتربيتهم، وفي موقع أدوات وبرامج التوجيه الثقافي والاجتماعي من وسائل إعلام واتصال وتواصل، وفي الطرق والأساليب الظاهرة والمستترة للضبط الإداري والقانوني.

<sup>١</sup> لعل مظاهر التدين الشعائري من صلاة وصوم وقيام ليل واعتكاف وذكر لله واتصال به وتوكل عليه... وغير ذلك من طقوس العبادات المفروضة والنافلة، هي موضوعات أثيرة لتأمل الباحثين الغربيين وتقاريرهم الإعلامية ودراساتهم العلمية، يُعملون فيها مناهج البحث الاجتماعي "الانثروبولوجي" و"الأنثروغرافي"، مرحبين بهذه الصور من التنوع الثقافي، فكل ذلك في نظرهم تدين جميل يستحق التأمل. ومثله كذلك أن تحتوي بعض المناهج التربوية على نصوص دينية عن الإحسان وحسن الجوار ومساعدة المحتاجين، مما يعلي من مقام الإنسان في الآخرة. على الرغم من أن ذلك عندما تقتصر مظاهر التدين عليه، يعدّ انسحاباً من إمكانية الحضور الفاعل في الحياة المعاصرة، بحجة أنّ "لهم الدنيا ولنا الآخرة". وربما تكون جهود الباحثين في الوصف الموضوعي لهذه الصور من التدين، والثناء عليها، تعبيراً صادقاً عن مشاعرهم. لكن روح التحيز الغربي تظهر عندما يحاول المسلمون الجمع بين "تدين الطقوس" و"تدين المعاملات" من أجل حضور علمي وعملي للإسلام في الحياة العامة؛ إصلاحاً سياسياً، وتنمية اقتصادية واجتماعية، وكشفاً علمياً، وإبداعاً حضارياً، ومنافسة في توجيه حركة الحياة في العالم. ولعل هذا ما يجعل أصحاب القرار الغربي يدافعون عن الطرق الصوفية ويتحالفون مع بعض قياداتها.

ويخضع التعليم العام في المجتمعات الإسلامية اليوم إلى ضغوط هائلة من القوى العالمية المهيمنة لتغيير المناهج وإزالة ما فيها من نصوص يدعون أنها "تثير الكراهية"، ولا "تحترم الآخر"، وتلقن "ثقافة الإرهاب". وتحت هذه الادعاءات تُستبعد نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويستبدل بها مواد تبشر بالسلام، وتدعو إلى المحبة، وترحب بالأعداء، وتنكر الخصوصيات، وتهدد بإلغاء الهوية. ولا تكفي هذه الضغوط بالمطالب السياسية الصريحة، وإنما تدعمها بما يلزم من متطلبات التغيير في المناهج من أموال وخبرات وتدريب، وتجذ هذه الضغوط من تطبعت عقولهم وضمايرهم على قبول ذلك والمشاركة في تنفيذه والدفاع عنه.

أما في التعليم الجامعي في المجتمعات الإسلامية اليوم فالأمثلة على غياب المرجعية الفكرية الإسلامية كثيرة، تتجلى في نظم التعليم وبرامجه ومناهجه؛ ففلسفة التعليم الجامعي، ومعايير جودته، ونظم تصنيف الجامعات تقوم على حضور علمي شكلي، وتقديرات كمية، وتيسيرات مادية، تحدت في ضوء ما تم تطويره واعتماده في المجتمعات الأخرى، وتغيب عنها أية مرجعيات قيمة إسلامية. فنظم القبول والاعتراف والاعتماد في الدول الأوروبية والولايات المتحدة على وجه الخصوص هي الأساس في صياغة نظم التعليم في المجتمعات الإسلامي.

ومن أمثلة التاريخ الحديث على اقتراض بعض المجتمعات الإسلامية لنظام تعليمي أجنبي عنواناً وروحاً ونصاً، بصورة تكشف عن طبيعة التبعية والاستلاب الثقافي-التعليمي. تطبيق "نظام ل م د" للتعليم الجامعي في عدد من هذه المجتمعات. مع العلم بأن هذه النظام في الأساس هو محاولة لتوحيد المعايير النوعية للتعليم العالي في دول الاتحاد الأوروبي، بالاعتماد على عدد من المبادئ أهمها توحيد الرتب الأكاديمية وتسهيل حركة الطلبة والأساتذة والباحثين وتعزيز البعد الأوروبي للتعليم العالي في محاولة لتحدي الهيمنة الأمريكية، فكانت هذه المجتمعات الإسلامية أسرع تطبيقاً وأكثر التزاماً من الدول الأوروبية نفسها.



إنَّ أهم القوى المؤثرة في اتجاهات العولمة في هذا الأيام هي طبيعة الاقتصاد العالمي القائم على تسويق ثقافة استهلاكية شديدة الجاذبية تدعمها قوة سياسية قاهرة، وتستخدم أدوات إعلامية شديدة التأثير والفاعلية. وفي مثل هذا الواقع أصبح النظام التربوي في المجتمع المعاصر متأثراً منفِعلاً، بدل أن يكون مؤثراً فاعلاً، وأصبح على النظام التربوي أن يتكيف مع التغيرات المتلاحقة في المجتمع الحديث بدل أن يكون أداة لتغيير المجتمع وتنميته في اتجاهات محددة.

ونستطيع بسهولة أن نشاهد بعض تمثلات العولمة في الحياة المعاصرة في المجتمعات الإسلامية في كثير من مظاهر الشكل والمضمون من أنماط الحياة؛ في الطعام والشراب واللباس، ووسائل التواصل؛ في موضوعاتها ولغتها، وأصبحت هذه الأنماط من الحياة أكبر مؤثر تربوي في تنشئة الأفراد وتشكيل شخصياتهم، وبناء العلاقات الاجتماعية، وتحديد القيم الضابطة للسلوك، وهذا هو إلى حد كبير ما كان على الفكر التربوي والنظام التربوي الذي يتبنّى هذا الفكر أن يقوم به في مجتمعات المسلمين!

وعلى صعيد الأسرة في المجتمع الإسلامي فإنَّ التنشئة الأسرية على المستوى المعياري الذي وجّه إليه الوحي الإلهي والهدي النبوي، هي الأساس في تشكيل عقل الفرد ونفسيته وصقل شخصيته، يتشرب فيها الفرد الرؤى والمشاعر والأفكار، وينشأ على منظومة متكاملة من القيم الإنسانية النبيلة، ويخضع لمدى واسع من العلاقات الاجتماعية، فالأسرة مستودع القيم التي تحكم مواقع أفراد الأسرة الممتدة من الجد والجدة إلى الأب والأم، والأخ والأخت، والعم والخال، والعمة والخالدة، فضلاً عن البنين والحفدة. فالأمومة والأبوة، والبنوة، والعمومة، والخوولة، كلها قيم تسهم في تشكيل نفسية الفرد وتبني علاقاته وتوسع دائرتها. ولكل فرد في العائلة الممتدة مكانة لا يغني عنها فرد آخر، فلكل من الجد والجددة والعم والعمة والخال والخالدة مكانة في التربية يعزز مكان الأب والام ويتكامل معه. وقد لا تكون المهام الذي يؤديها كل من هؤلاء مهام صريحة معلنة، ولكنها مهام فطرية كامنة، يتم أداؤها بصورة تلقائية، وإن كان تَوَدَّى بصورة واعية فإنَّ أثرها الإيجابي سيكون أكبر قيمة وأعظم شأنًا.

إنَّ التأمّل في النصوص القرآنية التي تنوّه بالعلاقات الأسرية الممتدة بين النسب والصهر، والبنين والحفدة، وما تتضمنه من صلوات القربي والأرحام، ربما يجعلنا نستنبط أنّ شخصية الفرد الإنساني لا تتكامل إلا عندما يمر بمراحل يؤدي فيها جميع المهام الأسرية؛ مهمة الجد، والأب، والزوج، والأخ، والابن، والحفيد، والعم، والحال،... فإن لم يُتَّخ للفرد أن يؤدي واحدة من هذه المهام، فرمما يفتقد جزءاً من الخبرة الفطرية التي تستكمل بها شخصيته الإنسانية. ويصدق ذلك في حق الذكر والأنثى.

والعلاقة بين الجدود والأحفاد كانت موضوعاً لكثير من الدراسات التي بيّنت أهمية هذه العلاقة لكلا الطرفين، ومن ذلك على سبيل المثال ما نشرته جريدة بوستن غلوب Boston Globe الأمريكية في عددها الصادر في ١٤ ديسمبر ٢٠١٥ عن دراسة قام بها باحثون بقيادة الباحثة الرئيسية سارة مورمان Sara Moorman الأستاذ المشارك في تخصص علم الاجتماع في كلية بوستن، ونشرت الدراسة في مجلة علمية هي مجلة Gerontologist، وموضوع الدراسة هو الآثار النفسية والاجتماعية الإيجابية المترتبة على العلاقة الوثيقة بين الجدود والأحفاد. وقد توصلت الدراسة إلى أنّ عناية الجدود (والجدّات) بالأحفاد يؤدي إلى تقليل المشكلات النفسية والسلوكية للأحفاد ويزودهم بخبرات غنية تساعدهم على التكيف والتأقلم في مراحل حياتهم، ولكن الجدود أنفسهم يستفيدون كثيراً من هذه العلاقة؛ إذ تشعرهم بقيمتهم في حياة الأسرة وتماسكها، وتُعرّضهم إلى أفكار جديدة، وتسهم في المحافظة على قدراتهم العقلية.<sup>٢</sup>

لكن المؤسف أن قيم الأسرة كما أرادها الله سبحانه، وكما مارسها البشر بفطرتهم عبر التاريخ، تكاد تنقرض في المجتمعات المعاصرة. وعلى الرغم من أنّ بعض مجتمعات

<sup>٢</sup> انظر التقرير عن الدراسة في:

- Albernaz, Ami. Study: Close grandparent-grandchild relationships have healthy benefits, *GLOBE CORRESPONDENT* Dec. 14, 2015.

ويمكن قراءة التقرير في الرابط:

- <https://www.bostonglobe.com/lifestyle/2015/12/13/close-grandparent-grandchild-relationships-have-healthy-benefits/kxL8AnugpVBKknDuzHZDKO/story.html>

استُرجع الرابط يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٧.

المسلمين لا تزال تحتفظ بشيء من هذه القيم، إلا أنها أخذت بالتلاشي بسرعة ملحوظة، وذلك نتجية لتفكك الأسرة الممتدة، وضعف روابط القربي، وتخلي الوالدين عن مهمة التنشئة الأسرية، باعتماد الخادمة الأجنبية، ودور الحضانة، حتى صدق فيها قول أحمد شوقي:

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنْ انْتَهَى أَبْوَاهُ      مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلًا  
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلَقَّى لَهُ      أُمَّاً تَخَلَّتْ أَوْ أَبًا مَشْغُولًا

ومسألة ضعف التنشئة الأسرية لم تقف عند صغار الأطفال الذين يتشربون التربية بطريقة غير واعية، وإنما امتدَّ هذا الضعف إلى المراحل اللاحقة للطفولة؛ إذ أُوكلت الأسرة مهمة التربية إلى المدرسة، وانشغل جميع أفراد الأسرة كباراً وصغاراً، كلُّ باهتماماته الخاصة من مسؤوليات عمل، أو علاقات اجتماعية، أو متابعات لما ينشر في وسائل الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي.

أما وسائل الإعلام والاتصال والتواصل فقد أصبحت في الحياة المعاصرة شديدة التأثير؛ سلباً وإيجاباً، في الاعتقاد الديني، والتنشئة الاجتماعية، والتطبيع الثقافي، والتوجُّه النفسي والأخلاقي، والبناء الفكري، والانتماء والسياسي، والسلوك الاقتصادي، وغيرها من جوانب الاعتقاد السلوك، وبناء المواقف والحكم على الأشياء والأحداث والأشخاص والأفكار... ولا ننسى أن كثيراً مما تبثه وسائل الاعلام وتنشره وسائل الاتصال مشحون بالأفكار والاتجاهات والقيم، حتى لو جاء أداؤها الإعلامي في صورة خبر، أو في كلمات أغنية وألحانها، أو عبر برنامج ترفيهي، أو تحقيق وثائقي، أو خطاب سياسي، فالرسالة الإعلامي الموجهة تستطيع أن تغيّر من حالة اجتماعية عامة تتحكم بها قيمة راسخة، وتُسقط مفهوماً فكرياً أو سياسياً لتُقيم بدله مفهوماً آخر، أو تهيب الناس لرفض أو قبول ما يخطط له من مشروعات تنموية أو تربية أو سياسية أو غيرها.

ولذلك فإننا نجد كلَّ المؤسسات والمنظمات والاتجاهات السياسية والفكرية والتعليمية والفنية، تستخدم وسائل الإعلام والاتصال والتواصل لشتى الأغراض النبيلة والخبثية، حتى إنَّ الفرد الواحد يستطيع أن يستعمل بعض وسائل الاتصال الحديثة لتكوين رأي عام حول قضية معينة تنتهي بقرار سياسي أو إداري أو اقتصادي على درجة كبيرة من الأهمية.

ونظراً لأنَّ وسائل الإعلام والاتصال والتواصل تعتمد على وضع المعلومة أو نشرها، فإنَّها تستخدم أحياناً أداة بالغة التأثير في التلاعب بالمعلومة إيجاباً وإثباتاً ونفيّاً وتغييراً من أجل اتخاذ قرار إداري أو تربوي، أو لافتماع موقف سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، أو لتبرير المعارك وشن الحروب.

ومن الملاحظ على المستوى المحلي والعالمي أنَّ التوسع في توظيف وسائل الإعلام والاتصال والتواصل كان على حساب انحسار واضح في موقع الأسرة والمدرسة وهما المؤسسات التقليديتان اللتان كانتا تُؤدِّيان مهمة التنشئة والتوجيه والتغيير والإعداد لمسؤوليات الحياة. فالأسرة التي كانت تؤدي مهام تربوية أساسية ينشأ فيها الصغار على أنماط على التفاعل والتواصل والسلوك النفسي والاجتماعي لم تعد فيها - في كثير من الحالات - فرص لهذا التفاعل، فليس الصغار فقط هم المشغولون بوسائل التواصل ومتابعة أجهزة الإعلام، بل الكبار أيضاً، ولم تعد وسائل الإعلام التي يتم التقاط بثها محدودة في عدد قليل من هذه الوسائل وعدد محدود من ساعات البث، بل أصبحت هذه الوسائل من الكثرة والتنوع والتناقض وسعة التغطية على مدار الساعة، ما أعاد تشكيل أنماط الحياة الاجتماعية وغيَّر قيمها ومعايير السلوك فيها، وأوجدَ بيئة ثقافية واجتماعية وتربوية بديلة عن أية بيئة أخرى. وثمة دراسات كثيرة حاولت معرفة عدد الساعات الذي يقضيها الأطفال في استعمال وسائل الإعلام والاتصال والتواصل وعلاقة ذلك بالصحة البدنية والنفسية والعقلية.<sup>٣</sup>

<sup>٣</sup> عُقدت مؤتمرات كثيرة وأُجريت دراسات كثيرة حول أثر وسائل الإعلام والاتصال، ولا سيما وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة التي فاقت في أثرها الوسائل السابقة. وكثير من هذه الدراسات تقرُّ بصعوبة منع استعمال هذه الوسائل، بالرغم من المخاطر الكبيرة التي أدخلت مجتمعاتنا فيها، وتكفي بتوجيهات معينة للحد من هذه المخاطر

هذه الصور البائسة للغياب المذهل لمرجعية الفكر التربوي الإسلامي في وسائط التربية في حياتنا المعاصرة هي مؤشرات على حجم الجهد اللازم بذله في الإصلاح التربوي المنشود، وأنَّ هذا الإصلاح هو منظومة متكاملة؛ فعلى مستوى الأسرة نحتاج إلى إصلاح جذري في التربية الوالدية parenting تعين الوالدين على اكتساب الوعي والمعرفة اللازمة للتعامل مع العوامل المؤثرة في تنشئة أبنائهم، وتحمل مسؤولية هذه التنشئة ليس من أجل إعدادهم لمسؤوليات الحياة وحسب، وإنما للنجاة من المصير المُهين لهم ولأبنائهم في الآخرة الذي ينتظر من يفرط في اعتماد مرجعية الوحي الإلهي والهدي النبوي في أداء هذه المسؤولية.<sup>٤</sup>

وعلى مستوى النظم التربوية في التعليم العام والتعليم الجامعي، نحتاج إلى إرادة صادقة في النظر المستقل لمصلحة مجتمعاتنا وأجيالنا، موقنين بأن اعتماد مرجعيتنا الإسلامية، سوف تصوّب المسيرة التربوية دون أن تحرماننا من الاستفادة من الخبرات والتجارب التربوية في عالم اليوم. فالأخذ الأعمى بالمشورة الأجنبية في تطوير النظم التربوية واعتماد معاييرها، أفقد مجتمعاتنا فرص الإبداع في تطويرها بصورة كان يمكن أن تكون نماذج هادية للمجتمعات الأخرى، وبذلك تستعيد مجتمعاتنا كرامتها المهذورة بالتبعية والاستلاب الفكري والتربوي.

أما وسائل الإعلام والاتصال والتواصل فقد كثرت الشكوى من سوء آثارها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتربوية. وكثر الكلام في مجتمعاتنا عن صعوبة ضبط طرق استعمالها والتعامل معها، وكأنَّها قَدْرٌ لا رادَّ له. وحقيقة الأمر أنَّ هذه الوسائل هي من قبيل الأدوات التقانية التي ما فتئ الإنسان يخترعها على مدار التاريخ، وسوف ترى الأجيال القادمة ما هو أشدَّ عجباً مما نعجب اليوم منه. والأدوات محكومة لا حاكمة يتحدد أثرها بغرض استعمالها وطريقته. ومن اللافت للنظر أنَّ العدد الأكبر من البحوث

وتوجيه استعمال هذه الوسائل بصورة مفيدة. ويمكن عمل دراسة لتحليل الدراسات والبحوث المقدمة للمؤتمرات العلمية في البلاد العربية، من حيث أهداف هذه الدراسات ومناهج البحث المستخدمة فيها وأهم نتائجها.  
<sup>٤</sup> قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ (التحریم: ٦)

والدراسات الأجنبية حول استعمال هذه الوسائل في التعليم، هو في الآثار الإيجابية المترتبة على استعمالها في توسيع دائرة التواصل التعليمي وتيسير الوصول إلى المعلومات، وزيادة فاعلية التعليم وفرص الإبداع... بينما نجد العدد الأكبر من البحوث والدراسات العربية حول استعمال هذه الوسائل يتمركز حول مخاطر استعمالها على الصحة والتعليم والبناء الأسري.<sup>٥</sup>

والأمثلة على النظرة الإيجابية لآثار وسائل التواصل كثيرة، ومن ذلك أن دراسة قد أجريت لتحليل نتائج ٦٦٢ أطروحة دكتوراه تناولت وسائل التواصل الاجتماعي، أخذت بياناتها من قاعدة بيانات "بروكويست" للأطروحات الجامعية الأمريكية،<sup>٦</sup> من بينها ٢٩ أطروحة عن استعمال هذه الوسائل في التعليم العالي، فوجد أن الآثار السلبية لهذه الاستعمال كانت في دراستين فقط، وتحدد سبب ذلك في بعض التفاصيل الفنية لطرق الاستعمال.<sup>٧</sup>

والله الهادي إلى سواء السبيل.

<sup>٥</sup> هذا حكم إجمالي ينقصه التوثيق، ويعتمد على النظر العابر لما نجده باللغة العربية من عناوين دراسات عن أثر وسائل الإعلام والتواصل في الشبابة، وما نجده من هذه العناوين باللغة الإنجليزية. وسيكون من المفيد إجراء دراسة مقارنة للنظر في هذا الحكم وما قد ينبئ عنه من الفوراق في الحالة النفسية والثقافية للباحثين.

<sup>٦</sup> ProQuest's Dissertation & Theses database

<sup>٧</sup> نشر التقرير عن هذه الدراسة في المجلة الأمريكية "البحث في التعليم العالي" الذي يمكن مراجعته في قاعدة "مركز

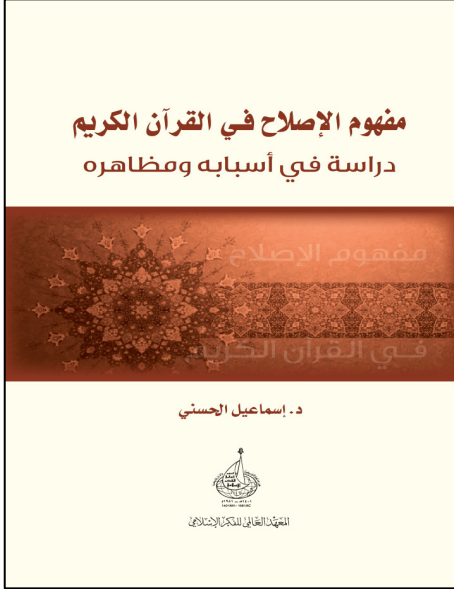
معلومات المصادر التربوية" ERIC - Educational Resources Information Center

- Piotrowski, Chris. Emerging Research on Social Media Use in Education: A Study of Dissertations, *Research in Higher Education Journal*, v27 Jan 2015.

ويمكن مراجعة هذا التقرير كاملاً على رابط قاعدة البيانات المشار إليها:

- <http://files.eric.ed.gov/fulltext/EJ1056186.pdf>.

## صدر حديثاً



## مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم دراسة في أسبابه ومظاهره

تأليف: د. إسماعيل الحسني

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

١٦٨ صفحة

التفكير في الإصلاح، الذي اكتنزه القرآن المجيد، مقارنة مستأنفة لسؤالين متلازمين:  
١: كيف يكون فهمنا للإصلاح في القرآن المجيد فهماً منهجياً؟ ٢: كيف نطبق الإصلاح  
الذي جاء به القرآن على الأمة في كل زمان وفي كل مكان وفي كل مجتمع من مجتمعات  
الأنام؟ على الرغم من وجاهة السؤال الثاني فإنه مسبوق بالسؤال الأول، لذا أثرنا في هذا  
الكتاب أن نبدأ بدراسته ومعالجته.

نلح في هذا الكتاب على الوعي النقدي بالعوائق التي اعترضت وتعترض دائماً  
الإصلاح، نعم لا شك في ضرورة بناء وعي نقدي سليم بذلك، ولكن لا ينبغي للمصلح  
أن يسقط ويسقط معه مخاطبيه في مهاوي القنوط واليأس من إمكانية تحقيق الإصلاح.  
فهو دائماً موجود ومتحقق بقدر حرصنا على اكتساب أسبابه التي تجعلنا غير جامدين  
ولا متطرفين في تجسيد بنائه الاعتقادي والفكري والعملي. وعليه إن أفق تفكير المصلح  
في الإسلام، هو دائماً أفق التفاوض والثقة في المستقبل.

### الطائفية وسبل مواجهتها

عبد الله إبراهيم زيد الكيلاني\*

#### الملخص

يتناول هذا البحث بيان وجهة النظر الإسلامية في مسألة اختلاف الملل والنحل، وأهمية بناء الفكرة الجامعة مجتمع متنوع الأعراق والأديان، والتمييز بين حرية الفكر التي تُخدم هُضمة الأمة، والحرية المنفلتة التي تُهدد أساس وجود الجماعة، وتحلية سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الأمة الجامعة في دولته الأولى باختلاف شعوبها وقبائلها ومللها وطوائفها، وأخيراً إمكانية بناء فكرة للمواطنة في العصر الحديث تقوم على مرجعية دينية.

وتعرض الدراسة لبعض النماذج التراثية والمعاصرة للتعامل مع الاختلاف الفكري والسياسي وتناقش إمكانية الإفادة من تجارب الأمم في بناء فكرة جامعة.

الكلمات المفتاحية: الطائفية، المواطنة، الدولة، الطائفة، الاجتماع الإنساني.

#### Sectarianism and ways to confront it

#### Abstract

This study deals with the Islamic viewpoint on issue of differences among various sects and denominations, the importance of building the universal idea of a society of different races and religions, and the distinction between freedom of thought that serves the nation's progress and the uncontrolled freedom that threatens the foundation of the group existence. The Study also reveals the policy of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in building the universal *Ummah* of its first state composed of different nations, tribes, sects and denominations. Finally, it discusses the possibility of building a contemporary idea of citizenship based on religious authority.

The study presents some traditional and contemporary models that deal with intellectual and political differences and discusses the possibility of benefiting from the experiences of various nations in building an inclusive idea.

**Keywords:** Sectarianism, Citizenship, State, Community, Human society.

---

\* أستاذ الفقه وأصوله في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية. البريد الإلكتروني: a.kelane@yahoo.com  
تم تسلم البحث بتاريخ ٢٠١٥/٦/٤م، وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٨م.



## مقدمة:

ينطلق بعض دارسي مسألة الطائفية من الخلط بين المفهوم الديني والمفهوم السياسي، فيرون في كل بُعد ديني نزعةً طائفيةً، وفي الحديث عن الأمة الناجية نوعاً من الطائفية، وفي الأحكام الدينية المنظمة لشؤون الأسرة شكلاً من أشكال سيطرة الطائفة على جسد الأنتى،<sup>١</sup> كما في تحريم زواج غير المسلم من المسلم.

والنظر العلمي يكشف أنّ هذا الفهم ناجم عن عدم الوعي بالحقائق؛ وذلك أنّ التحريم والتحليل في الأحكام الشرعية لا يرتبط بموقف عنصري، ولا يقتصر على الأنتى من دون الرجل؛ فالرجل أيضاً لا يحق له الزواج من الوثنية،<sup>٢</sup> وأنّ الاختلاف في الأحكام الفقهية لا يُعوّق إمكانية العيش المشترك على ما يُبرز هذا البحث.

ومشكلة هذه الأفكار أنّها تلغي حرية الإنسان في الاعتقاد، في دعوتها إلى بناء الأوطان الحرة، فاقتضى الأمر فهم وجهة النظر الإسلامية، وكيف يمكن بناء الفكرة الجامعة لمجتمع متنوع الأعراق والأديان والملل والنحل. وفي سبيل تجلية المقصود، سننظر في مناحي هذه المسألة، بدءاً بفهم الاجتماع الإنساني وقوامه.

والقضية التي يهدف البحث إلى معالجتها لا تتوقف فقط عند حرية الرأي المكفولة شرعاً، وإنما تشمل كيفية تمييز حرية الفكر التي تُخدم نخضة الأمة نخضة عامة، وبين الحرية المنفلتة ممّا يُهدّد أساس وجود الجماعة، فضلاً عن دراسة تجارب الأمم الأوروبية في هذا المضمار، ولا سيما تلك التي عرّفت فكرة الصراع المجتمعي على أساس ديني، وانتهت إلى فكرة المواطنة التي تثبت لكل مواطن حقوقاً سياسية بصرف النظر عن انتمائه المذهبي.

سنحاول في هذا البحث الإجابة عن سؤالين رئيسيين، هما: كيف تمكّن الرسول ﷺ من إدارة شؤون دولته الأولى بالرغم من اختلاف شعوبها وقبائلها ومللها وطوائفها؟

<sup>١</sup> انظر خصائص العقل الطائفي في الموقع الإلكتروني لنادي الفكر العربي:

<http://www.nadyelfikr.com>. تاريخ الزيارة: ٤-٦-٢٠١٥

<sup>٢</sup> انظر خصائص النقاش السوري عن الطائفية في الموقع الإلكتروني لصحيفة الحياة، مقال ياسين الحاج صالح، وتاريخ

نشر المقال: ١٢-٥-٢٠١٥:

والسؤال الثاني: كيف يمكن بناء فكر المواطنة في دولة إسلامية تقوم على أساس ديني؟

ثم سنعمل على دراسة فكرة الجويني في التعامل مع أهل البدع بوصفها نموذجاً تراثياً، والإفادة من خبرات الأمم الحديثة في استيعاب التنوع الطائفي والملي، والتحديات التي تواجه مكونات المجتمع الحديث، وسبل بناء الجماعة الواحدة.

### أولاً: قوام الاجتماع الإنساني

يجمعُ البشرَ روابطٌ متنوعة مثل وحدة الدم والعرق والإقليم. أمّا من يجمعهم رابط الدم والعرق الواحد فهم القبائل، ويتبعهم حلفاؤهم ومواليهم الذين التحقوا بهم وإن لم يلتقوا معهم برابط العرق والدم. وقد جاء في الحديث: "الولاء لحمة كلحمة النسب."<sup>٣</sup> وهو عقد إرادي يكون بين شخص لا ينتمي إلى القبيلة وإحدى القبائل، ينصُّ على اشتراك المولى مع القبيلة في بعض التبعات القانونية مثل تحمُّل الدية.

وأما الشعوب فيجمعهم إقليم واحد وإن تنوّعت أصولهم العرقية التي يعتزون بها. وفي هذا السياق، أشار القرآن الكريم إلى تنوع البشر شعوباً وقبائل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ويمكن تقسيم الناس وتصنيفهم إلى حضر وبدو تبعاً لمكان سكنائهم، وقد جُمعهم هويات فرعية متعددة بحسب المهنة، أو الملة، أو المذهب، أو المدرسة، فيقال: الشافعي، والأزهري، وهكذا.

ولكي يبقى الاجتماع على تنوعه، فلا يتفرّق تفرّق سبأ، مُحققاً أهدافه من توفير الحاجات الإنسانية، ثم الارتقاء بمستوى الحياة، وصولاً إلى التنمية المستدامة؛ لا بُدَّ من

<sup>٣</sup> انظر:

- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان. **المسند**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ، ص ٣٣٨.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. **السنن الكبرى**، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص ٢٩٣.

توفر عنصرى الألفة والوفرة المادية، وهذا ما أكده عدد من الباحثين مثل الماوردى بإبرازه قيمة الخصب الدائم؛ إذ يقول: "أما القاعدة الخامسة فهي خصب دار، ليخف في الناس الحسد وَيَنْتَفِي عَنْهُمْ تَبَاعُضُ الْعَدَمِ، وَتَتَّسِعُ النَّفُوسُ فِي التَّوَسُّعِ، وَتُكْثِرُ الْمُؤَاسَاةَ وَالتَّوَاضُلَ وَذَلِكَ مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي لِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَانْتِظَامِ أَحْوَالِهَا."<sup>٤</sup> وبنى الماوردى فكرته اعتماداً على الملاحظة للاجتماع الإنساني. وقد نجد شاهداً على حاجة الاجتماع إلى الألفة والوفرة في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم: ٣٧).

### ثانياً: أمراض الاجتماع الإنساني التي تحول دون تحقيق التنمية والارتقاء

يعرض للاجتماع الإنساني أعراض تُعطل وظائفه فيما يخص توفير الحاجات وتحقيق التنمية المستدامة، وتحول دون تعاون أفراد المجتمع بعضهم مع بعض. وقد نص القرآن على عدد منها، مثل: الأعرابية، والزعامات الطفيلية (الزنيمة)، والطائفية.

فالأعرابية المذمومة في القرآن الكريم تُعبر عن حالة من الانغلاق حول الذات، وعدم الارتقاء إلى مستوى الشعور بعضوية الأمة؛ لذا فهو يتخذ ما يُنْفِقُ مَغْرماً. قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرِ﴾ (التوبة: ٩٨).

أما الزعامات الزنيمة فهي كالطفيليات التي تتغذى بدماء من تعلق به، ومصادقها الزعامات التي تتكسب بسرعة مكتسبات التنمية، والاستئثار بثروات البلاد.

ومن الأعراض المَرَضِيَّة التي تصيب الاجتماع الإنساني الطائفية، وهي نوع من الانغلاق والانعزال الشعوري والوجداني لأفراد ملة يعيشون في المجتمع، وتجمعهم صور من الانتماء إلى هويات فرعية، مثل: الانتماء إلى العشيرة، أو الحزب، أو الجماعة، أو المذهب على حساب الانتماء إلى الأمة. ولهذا، فإن دراسة الطائفية وعلاجها مفيد في استكناه طرائق التعامل مع سائر الهويات الفرعية القبلية والجهوية والمذهبية، وهو ما تسعى

<sup>٤</sup> الماوردى، أبو الحسن علي بن محمد. أدب الدنيا والدين، دم: دار الحياة، ١٩٨٦م، ص ١٤٦.

إليه الدراسة بفهم هذه الظاهرة، وبيان وسائل دمج الجماعات المتنوعة، وصولاً إلى مفهوم الأمة القطب القادرة على استقطاب القبائل والشعوب والملل والطوائف، وتوجيهها نحو أهداف تنموية تُحقّق العمران.

### ثالثاً: تعريف الطائفة

الطائفة لغة تأتي بمعانٍ عدّة، منها: الجماعة من الناس، وقد تُطلق على الواحد،<sup>٥</sup> ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢)، وقوله جلّ ذكره: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات: ٩).

وتأتي أيضاً بمعنى أخص، هو: الفرقة التي يجمع أفرادها مذهب واحد، مثل الطوائف الدينية.<sup>٦</sup> وقد تُطلق على جماعة يجمع أفرادها الرابطة العرقية، أو الدينية، أو المهنية، وهذا ليس موضوع البحث، وإنما البحث في المعنى الخاص لمفهوم "الطائفية".

والقبيلة والعشيرة والملة كلها طوائف بالمعنى اللغوي، يجمعها العرق أو الدين. غير أنّ مراد بحثنا هنا هو سير حالة انغلاق إحدى الجماعات على نفسها استناداً إلى أساس ديني في الغالب.

فلفظ "الطائفية" هو مصدر صناعي، والمصدر الصناعي يُطلق على كل لفظ (جامد أو مشتق، اسم أو غير اسم) زيد في آخره حرفان، هما: ياء مشدّدة بعدها تاء تأنيث مربوطة، ليصير بعد هذه الزيادة اسماً دالاً على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة؛ فهو يدل على صفة في هذه الجماعة. وليست الطائفية ملازمة لوجود الطوائف -على تنوعها- فقد يكون الناس طوائف وجماعات متنوعة من دون طائفية، وكذا يقال إنّ المذهبية ليست ملازمة للانتماء إلى مذهب، وإنما أتت بالمصدر الصناعي ليدل على شيء إضافي في اللفظ الذي صنّع منه.

<sup>٥</sup> ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ، ج ٩، ص ٢٢٦.

<sup>٦</sup> عمر، أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة، د.م: عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ١٤٢٣.

فالمعنى الذي قُصِدَ الدلالة عليه من المصدر الصناعي هو انغلاق الطائفة على نفسها، وعدم اندماجها في الأمة، وعدم الإيمان بفكرة جامعة وإرادة عامة تُمثّل أفراد المجتمع. فالطائفية يجمعها طلب الامتيازات من الجماعة، ويظهر ذلك جلياً في المواقع السياسية العليا، حيث تُخصّص حصص للطائفة، وتحظى بامتيازات خاصة من مكاسب التنمية.

أمّا فكر الأمة فيقوم على أساسٍ يُحقّق المصلحة لأفرادها جميعاً في مقابل المراضاة التي تعتمد المفااهيم الطائفية.

وكذا فهي نوع من العنصرية القائمة على أساس طائفي ومذهبي، وليست حديثاً عن أديان السكان، وإنما هي حديث عن انتمائهم ومواقفهم تجاه قضايا الوطن، والعدالة بين الخلق، وهي بذلك تتناول جانباً اجتماعياً وسياسياً وقانونياً يستند إلى أساس ديني.

والعصبية الطائفية لا يُقرّها النظر المصلحي الرشيد، وهي لا تُؤثّر سُنن العمران الإنساني؛ وذلك أنّ مصلحة الإنسان تقتضي التعاون والتعاقد على إطلاقه، في حين أنّ الفكر الطائفي المغلّق يُعوّق أوجه التعاون بين أفراد المجتمع على تنوع مذاهبهم وطوائفهم.

وهنا، لا بُدَّ أن نُنبّه على أنّ دراسة الطائفية والمذهبية ينبغي أن تنطلق من دراسة الهويات الفرعية داخل الأمة، مثل: الانتماء إلى جمعية، أو نادٍ، أو منتدى، أو عشيرة، أو مذهب.

والأصل أن يُنظر إلى هذا الانتماء بوصفه أمراً بدهياً طبيعياً؛ لأنّ الإنسان يولد في أسرة، ويصلي في مسجد، أو معبد بحسب دينه، ويدرس في مدرسة، ويلعب في نادٍ، ويمارس أنشطة ثقافية في منتدى، ويشترى من متجر، فيحصل نوع من الإلف والانتماء بين الإنسان والأماكن التي يمكن الاستفادة منها في إنشاء الجماعات والطوائف، على أساس عرقي، أو ديني، أو رياضي. وهذه الكيانات الفرعية يمكن - بالتوجيه الرشيد - أن تكون مؤسسات فاعلة تُعدُّ أبناءها لخدمة الوطن كله، مثلما هو منشود نظرياً من مؤسسات المجتمع المدني والأهلي.

ولكن، حين تفقد هذه المؤسسات (المُمثِّلة في المنتديات، أو الأحزاب، أو الجماعات، أو النوادي) معايير الرشد والصلاح، فتُعَلَّب مصلحة أبنائها على مصلحة الآخرين، فإننا ندخل فيما يسميه القرآن أتباع الهوى. والطائفية والمذهبية هما نوع من الهوى.

والقرآن الكريم سعى إلى حماية الطائفة من الطائفية، والمذهب من المذهبية الضيقة، فأمرنا بأداء الشهادة والأمانة من غير محاباة، ولو للوالد والقريب، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (النساء: ١٣٥).

وأمرنا سبحانه أيضاً أن نؤدي الأمانات إلى أهلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ (النساء: ٥٨).

ومن هذه الأمانات أداء حقوق الناس جميعاً، بصرف النظر عن الجماعة، أو المذهب، أو الطائفة. بيد أن الفكر الطائفي لا يُقَرُّ بالأمانات لأهلها، فيجحد حق أبناء الوطن ممن هم ليسوا من طائفته، وهو بذلك يُمثِّل عائقاً لمفهوم الأمة القطب والتضامن مع أفراد الجماعة كلها. فالفكر الطائفي يحرم الآخرين حقهم في خيرات الوطن؛ إذ يُسَخِّر زعماء الطائفة أبنائها وأفرادها لخدمة مصالحهم الخاصة، ويغتصبون خيرات الوطن إشباعاً لشهواتهم. والفكر الطائفي يعتقد أنه وحده الأعراف بمصالح الأمة، وأنه الوصي على الآخرين الذين لم يبلغوا سنَّ الرشد بعد. وهذا الفكر قد ينشأ نتيجة ظروف وأحوال متعددة، بعضها مشروع مثل الدفاع عن حقوق أفراد الجماعة في المناطق التي يتعرَّضون فيها للتمييز والقهر والحرمان، فيتكثِّلون لرفع الظلم عنهم، ثم ينتفع من هذا التكتُّل الزعماء، فيسعون إلى الاستئثار بالمغانم حين تصبح لهم عصبية وشوكة.

والفكر الطائفي - شأنه شأن جميع العصبية البدائية التي لا ترتقي إلى مفهوم الأمة - عاجز عن حماية نفسه، وتطوير ذاته؛ لأنه يحمل في داخله عوامل فنائه، فهو

يظهر أولاً لحماية الطائفة، فتقوى العصبية، وتتحقق لهم الشوكة، ثم حين يحدث لهم التمكين والمغانم يستأثر بها مَنْ في رأس الهرم، فيبدأ الصراع بين أبناء الطائفة الواحدة نفسها، ويزداد الشرخ مع تعمق شعورهم بالحرمان، واستئثار فريق ما بالمكاسب، بالرغم من التساوي في سبب الاستحقاق؛ فيجدع الأمير أنف أبناء عمومته، وأنف أتباع عصبيته الطائفية. وهنا يسعى قادة الطائفة إلى تعويض النقص باستتباع بعض محرومي الطوائف الأخرى، أو باستعمال عناصر جديدة مُناهضة للمنتقدين من طائفتهم، في صورة تُشابه كثيراً الأسلوب الفرعوني الذي ورد ذكره في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْ أَهْلَهَا بِشِيعَةً﴾ (القصص: ٤). وأول بوادر الصراع بين زعماء الطائفة السماع بأن بعض المُقرّبين من زعيم الطائفة قد انتحروا بإطلاق عدة رصاصات على أنفسهم!، ثم يكثُر عدد المنتحرين.

أما الأعراض المَرَضِيَّة للفكر الطائفي فتتمثّل في صور وأشكال عدّة، أبرزها توزيع الثروات والمكاسب والمناصب على الأهل والأقارب والأحباب. ولمّا كان الفكر الطائفي مخالفاً لسُنن العمران؛ بجرمانه الأمة من الأكفياء، وغياب حقوق الإنسان التي وضعها الله في الكون، فإنّه زائل لا محالة بعدما استوجب غضب الإله، واستحقّ عذابه الشديد، مثلما أحاق بفرعون الذي مثّل حكمه الطائفية في أبغض صورها. قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِإِسْرَائِيلَ فِرْعَوْنُ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥). وغالباً ما يسبق العذاب عدة رسائل تحذير لعلمهم يرجعون تتمثل بحركات انتقاد وتمرد.

غير أنّ الفكر الطائفي لا يعي رسائل التحذير وتُدرّ الخطر لما فيه من الكِبَر المانع من الإقرار للمخالف له بالحق؛ فالمتكبر لا يرى الآيات والنُذُر لقوله تعالى: ﴿سَاءَ صَرِفُ عَنِّي آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ أَوْ يَوْمُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٦). ولهذا، فإنّ التحذيرات الإلهية والكونية ورسائل النصيح لن تُجدي نفعاً مع قادة الفكر الطائفي بعد ما زِن لهم الشيطان ما كانوا يعملون، مُصرّين على طغيانهم وعتوّهم، حتى يأتيهم الاستئصال بعتّة؛ لقوله تعالى:

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾<sup>٧</sup>  
 فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا  
 هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الأنعام: ٤٣-٤٤).

#### رابعاً: تنبيه القرآن الكريم على حقوق أفراد الأمة لمنع نشوء الفكر الطائفي

جاء في مناسبة نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾<sup>٨</sup>  
 (النساء: ٥٨) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حين فتح مكة طلب إلى عثمان بن شيبة مفاتيح الكعبة،  
 فعرض العباس على رسول الله ﷺ أَنْ يجعل المفاتيح بيد بني هاشم، فأنزل الله تعالى هذه  
 الآية.<sup>٩</sup> وهذا التوجيه المتعلق بحقوق الأفراد، ولو كانوا من خارج القبيلة والطائفة، يساعد  
 على منع نشوء فكر طائفي حيث يسود القانون والشرع، وينال الفرد حقه بقوة الشرع لا  
 بحماية الطائفة.

وجاء في مناسبة نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ  
 يِمَّا أُرْدَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ (النساء: ١٠٥) أَنَّ رجلاً من أهل المدينة  
 يُدعى طعمة بن أبيرق سرق درعاً من جاره، ثم وضعه عند يهودي. فلَمَّا بحثوا عن الدرع  
 وجدوه عند اليهودي، فانكر طعمة أَنَّهُ سرق، وطلب قومه (الأنصار) أَنْ يدافع الرسول  
 عن صاحبهم،<sup>١٠</sup> فأنزل الله تسع آيات في براءة اليهودي، تبدأ بنهي الرسول عن أَنْ يكون  
 خصيماً؛ أي محامياً عن طعمة، ثم تُوجِّه مرتكب الجرم إلى التوبة، وتؤكد أهمية حماية  
 حقوق الإنسان، وإن كان من غير طائفتنا؛ فالعدالة ينبغي أَنْ تُطبَّق بتجرد، وفي هذا بيان  
 لدور الشرع التقوي. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا  
 رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ  
 يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ

<sup>٧</sup> ابن كثير، أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم: تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، بيروت: دار طيبة، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص ٣٤١.

٨ - ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م، ج ٥، ص ٩٢.

<sup>٩</sup> الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ج ٩، ص ١٧٦.



عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ (النساء: ١١٠-١١٣).

وفي هذا تأكيد للمعنى نفسه من أنَّ قوة الشرع وقوة القانون هي التي تعطي الضعيف حقه من غير حاجة إلى حماية الطائفة ليكون الولاء للدولة والأمة، لا للطائفة على حساب الدولة والأمة. فمن خصائص الفكر الطائفي أنه يُطبَّق العدالة بمعايير مغايرة مغلوطة؛ فنجد الطائفيين أقرب إلى قول الله تعالى في المطففين: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَّالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾<sup>٩</sup> وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَالُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ (المطففين: ٢-٣) وترى الآيات الكريمة نهي عن التطفيف ودعوة إلى إلى وجود معايير دقيقة لتحقيق عدالة القضاء. وفي هذا تحيين للمجتمع من من الطائفية وتمهيد لسبل الوصول فكر الأمة الجامع.

ومما ينبغي التنبيه له أنَّ الفكر الطائفي يُمثِّل أحد عناصر الخطر الذي يتعيَّن تحيين الجبهة الداخلية منه؛ فقد نبّه الجويني في تجليته لما يناط بالأئمة من الأحكام على أنَّ بناء ثقافة جامعة لأبناء الوطن هو من مسؤوليات الدولة التي يُكلِّف بها الإمام: "وَالْقَوْلُ فِي حِفْظِ مَا حَصَلَ يَنْقَسِمُ إِلَى حِفْظِهِ عَنِ الْكُفَّارِ، وَإِلَى حِفْظِ أَهْلِهِ عَنِ التَّوَاتُبِ وَالتَّغَالِبِ، وَالتَّقَاتُوعِ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّوَاضُلِ".<sup>٩</sup> والمقصود بالتواصل هنا دعوات الجاهلية حسب ما أشار إلى ذلك الجوهري في الصحاح: "ووصل بمعنى اتصل، أي دعا دعوى الجاهلية، وهو أن يقول: يا لفلان."<sup>١٠</sup> وكلام الجويني يبيِّن أنَّ من واجبات الدولة منع الاعتداء الخارجي الذي يشنُّه الكفار، والذي تتعدَّد صورته وطرائقه، مثل: الهجوم العسكري، والهجوم الثقافي لفرض ثقافة على أخرى. أمَّا أدواته فهي الإعلام، والتعليم، والاتفاقيات الدولية، والتعديلات التشريعية. وكل ذلك يستدعي من الدولة وضع خطة محكمة لمواجهة هذه التحديات؛ حفاظاً على وجود الجماعة المادي والثقافي.

<sup>٩</sup> الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد. غياث الأمم في التياث الظلم، د.م: مكتبة إمام الحرمين،

١٤٠١هـ، ص ٢٠١.

<sup>١٠</sup> الجوهري، إسماعيل. الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، باب:

وصل، ج ٥، ص ١٨٤٢.

ومن أوجه خطر الفكر الطائفي أيضاً اتخاذ الطائفيين موقفاً من شرعية السلطة السياسية مغايراً لموقف أهل السنة، وذلك استناداً إلى فهم مغاير للنص الشرعي، أو إلى أدلة شرعية بحسب مرجعيته. ومثّل هذا التحدي مزيجاً من المشكلة السياسية والفكرية والأمنية التي تتطلب دراسة جادة عميقة للتجارب التراثية وتجارب الأمم في التعامل مع الحرية الفكرية للأفراد، وحرية تكوين الأحزاب على نحو يحفظ وحدة الجماعة.

وتعدّ العصبية الطائفية والقبلية إحدى أهم المشكلات التي تواجه الدولة. ولهذا، يمكن دراسة الظواهر المتماثلة معاً؛ نظراً إلى تصادمها مع مفهوم المواطنة القائمة على تساوي أفراد القبائل جميعاً أمام القانون. ففي ظل الطائفية والعصبية القبلية يُستغل المنصب العام لحماية المصالح الخاصة للطائفة أو القبيلة أو الحزب بدلاً من حماية مصالح المواطنين كافة؛ ما يجعل الولاء للهويات الفرعية (مثل: الطائفة، والقبيلة) مُقدّماً على الولاء للشرع والقانون والأنظمة، ويحرم الوطن من تكاتف جهود أبنائه (قبائل، وطوائف) للنهوض به، فتبقى مستويات التنمية في حدودها الدنيا.

### خامساً: دولة الرسول ﷺ في المدينة

اتسمت دولة الرسول في المدينة عند بدء تأسيسها بعدة سمات مهدت السبل لبناء دولة الأمة التي تستوعب التنوع العرقي والملي، ومن هذه السمات:

#### ١. فتحت المجال لتلاقي الشعوب والقبائل في أمة الإسلام:

بعد وصول الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، سارع إلى وضع الميثاق المؤسس المُنظّم للعلاقات السياسية داخل الدولة فيما عُرف بالصحيفة، من دون النظر إلى المنابت والأصول، أو تمييز بين مهاجر وأنصاري؛ فالمؤمنون جميعاً، من قريش والمدينة، هم أمة واحدة، وهذه الرابطة الجديدة (الأمة) متاحة لكل من تبعهم، ولحق بهم، واستعدّ لأداء الواجبات المنوطة به؛ فجاهد معهم.

وقد ركّز إعلان الصحيفة على أهمية ما يسمى اليوم دولة القانون، التي يلتزم جميع أفرادها باحترام القانون، وعدم تناول أحدهم على الآخرين ركوناً إلى قوة مادية أو

معنوية. "فالمؤمنون المتقون أيديهم على كل من بغى عليهم، أو ابتغى دسيعة ظلم (الدسيعة: القوة)،<sup>١١</sup> وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم."<sup>١٢</sup>

وهذا الالتزام بالخضوع لدولة القانون يُمثل إحدى أهم الدعائم التي تساعد على اندماج أفراد المجتمع الجديد، وتجانس أفكارهم، بحيث يصبحون أمة واحدة، وتصير التكتلات الاجتماعية الأخرى من قبيلة وعشيرة محتواةً، ومندرجةً ضمن مفهوم "الأمة".

أما عدم رسوخ دولة القانون فيدفع كل فرد إلى الاستقواء بعشيرته وقبيلته لنيل حقه وتحقيق مصالحه، فيؤول الأمر إلى انغلاق القبائل على نفسها، وتحوصل الطوائف على أفرادها؛ ما يُعوّق اندماج الأفراد، وتجانس أفكارهم ليكونوا أمة تنصهر في بوتقتها الأعراق والطوائف والملل، في سبيل بناء مجتمع إنساني. ولهذا، فقد تطرّق إعلان الصحيفة إلى العشائر والقبائل الموجودة داخل الدولة، التي تُمثل أهم الروابط الاجتماعية المتعددة الوحدات في المدينة، التي تُدخل كل منها الجماعة في نظامها الاجتماعي الخاص بها المشار إليه في الصحيفة بلفظة "ربعتهم"<sup>١٣</sup>. وكان رسول الله ﷺ قد أقرّ النظام العشائري<sup>١٤</sup> أساساً للاستيطان، والتعاون؛ نظراً إلى تغلغل هذا النظام في النفوس، وما فيه من مصلحة اجتماعية تُسوِّغ عده عرفاً معتداً به شرعاً، ما دامت المصلحة التي يستند إليها هذا العرف لا تتنافى مع المصالح المعتبرة في الشريعة؛ فقد نصّ إعلان الصحيفة على أنّ أفراد العشائر يتعاقلون معاقليهم، ويقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.<sup>١٥</sup>

## ٢. العشيرة بوصفها تكتلاً اجتماعياً لا تكتلاً سياسياً:

تعامل الرسول ﷺ مع العشيرة بوصفها تكتلاً اجتماعياً، لا تكتلاً سياسياً؛ إذ عدّ القبيلة والعشيرة في المدينة تجمُعاً اجتماعياً أكثر منه تكتلاً إدارياً أو سياسياً. وعلى هذا،

<sup>١١</sup> الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٧م، مادة: دسع، ص ٩٢٤.

<sup>١٢</sup> انظر نص الوثيقة: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق النبوية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت: دار النفائس، ١٤٠٧هـ، ص ٦٠.

<sup>١٣</sup> مؤنس، حسين. عالم الإسلام، مصر: دار المعارف، د.ت، ص ١٥٤.

<sup>١٤</sup> العلي، صالح. الدولة في عهد الرسول، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١١٠.

<sup>١٥</sup> المرجع السابق، ص ١١٢.

فلا ميزة لأفراد عشيرة على أخرى، حتى إن الرسول ﷺ كان يعامل ذوي المكانة بوصفهم أفراداً في الأمة، لا رؤساء لكتل سياسية؛ ما قطع الطريق أمام قيام تحالفات سياسية منفردة عن الأمة، مُفَوِّتة مصالحها، تأكيداً لما جاء في الوثيقة النبوية: "وأنت لا يسلم مؤمن دون مؤمن إلا على سواء وعدل بينهم." ومعنى السواء هنا الاتفاق الذي يقبله جميع المسلمين،<sup>١٦</sup> ومعنى العدل عدم تضمين الصلح حيفاً أو انتقاصاً من الحقوق المُقرَّرة شرعاً. وهذا يُعدُّ مظهرًا من مظاهر هيمنة قيم العدل ذات السيادة على سائر المعاهدات، بحيث إذا تضمَّنت المعاهدة ما يمس الحقوق المستقرة بموجب أحكام الشريعة، فإنَّها تكون غير مُلزمة. فدفع العدوان، وإزالة آثاره حقُّ الله تعالى؛ لما يستتبعه من إشاعة العدل بين الناس جميعاً. وهذا هو معنى حق الله تعالى فيها؛ أي تعلقه بالإنسان العام.<sup>١٧</sup> وعلى هذا، فالمعاهدة التي أقرَّها الإسلام هي تلك التي لا ينفرد شخص بإبرامها؛ لأنَّها تُقرِّر سلاماً شاملاً عادلاً، والتي لا تُحمِّل المسلمين ظلماً، أو تنتقص من حقوقهم.

فضابط المعاهدة المقبولة شرعاً هو تحقيق السلام العادل الشامل، ومعيار عدالة السلم يكون بإزالة آثار العدوان وشموله، بحيث لا تنفرد به فئة دون سائر المسلمين.<sup>١٨</sup> وهذا إجراء تشريعي يحفظ وجود الجماعة السياسي، ويجعلها متماسكة متحدة في وجه الآخرين.

### ٣. الرسول ﷺ يصهر القبائل في بوتقة الأمة:

إنَّ هذه المفاهيم الجديدة التي أرسى دعائمها الرسول ﷺ أفضت إلى إعادة صياغة التكتُّل القبلي ليتهيأ للاندماج في بوتقة الأمة؛ إذ وضع الإسلام معايير للتفاضل بين الناس تقوم على التقوى والخُلُق الفاضل، من دون تمييز لعرق، أو أصل، أو طائفة؛ فَمَن يُسلم من القبائل يصبح مُرتبطاً مع إخوانه في الدين برابطة عامة، ويشاركهم أفراحهم، وأحزانهم، ومناسباتهم وأعيادهم؛ فيبتعد عمَّن بقي متمسكاً بالشرك من أفراد قبيلته، ويندمج في الرابطة الجديدة (الأمة المسلمة).

<sup>١٦</sup> الدريني، فتحي. خصائص التشريع في السياسة والحكم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١٣م، ص ٣٥٥.

<sup>١٧</sup> المرجع السابق، ص ٣٦.

<sup>١٨</sup> الكيلاني، عبد الله. القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام، عمان: دار وائل، ٢٠٠٨م، ص ٢٦.

## سادساً: الطائفية وتناقضها مع أسس العمران الخلدوني

بيّن ابن خلدون أنّ أسباب وجود الجماعة يتمثّل في حفظ مقومات وجودها ومادتها؛ أي التماسك والتآنس. والمقصود بالتماسك اجتماع الناس في مِصْرٍ أو حِلَّة،<sup>١٩</sup> فتتوفر بذلك مادة العمران وفق المفهوم الخلدوني. "ويستمد من هذا الاجتماع والعمران تعاون أفراد الجماعة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات؛ لما في طباعهم من التعاون على المعاش."<sup>٢٠</sup>

وبقاء التماسك واستمراره يقتضي وجود سلطة سياسية تدفع التخاصم، وتُحقّق التنمية، وتُحرّك الأسواق. أمّا التآنس فهو طلب الأنس بالعشير والجار، الذي يحكمه النظام الديني والأخلاقي المُتمثّل في تعليم الأفراد أصول الأخلاق ومجاهدة النفس.

وأما ما ذكره ابن خلدون من حاجة العمران إلى تماسك أفرادها (أي اجتماعهم)، وإلى ألفة جامعة، فنجد له شاهداً في قوله تعالى، حكايةً عن نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ عَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّرِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (إبراهيم: ٧٣). فالاجتماع يتطلّب توفر الألفة الجامعة والرزق لتلبية الحاجات الإنسانية.

وقد نبّه القرآن الكريم على الخلل الذي يصيب صميم الأنظمة السياسية حين تُدمّر الألفة الجامعة، وعرض لذلك مثلاً على فرعون الذي جعل أهلها شيعاً متقاتلين، فأخلّ بنظام الاجتماع الإنساني، واصفاً إياهه وأقرانه من الذين أكثروا في الأرض فساداً، فاستحقوا عذاب الله الشديد: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ (الفجر: ١٠-١٣).

<sup>١٩</sup> قال الفيومي: "وتُطلَقُ الحِلَّةُ عَلَى النُّبُوتِ بِحَازِلٍ، تَسْمِيَةً لِلْمَحَلِّ بِاسْمِ الْحَالِ، وَهِيَ مَائَةٌ بَيْتٍ فَمَا فَوْقَهَا، وَالْجَمْعُ حِلَالٌ بِالْكَسْرِ، وَجِلٌّ أَيْضًا، مِثْلُ: سِدْرَةٌ وَسِدْرٌ". انظر:

- الفيومي، أحمد بن محمد. المصباح المنير، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج ١، ص ١٤٧.

<sup>٢٠</sup> ابن خلدون، عبد الرحمن. مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠١م، ص ٦٧.

## سابعاً: كيف يمكن بناء فكر المواطنة في دولة إسلامية تقوم على أساس ديني؟

ربما يُشكّل على الدارس فهم كيف يمكن بناء مجتمع متنوع الملل على أساس ديني، أو ما سمّاه ابن خلدون العصبية الدينية، بالرغم مما يكتنف هذه العصبية من مخاطر الطائفية والمذهبية المانعة وحدة الجماعة المتنوعة المذاهب والملل. والحقيقة أنّ العقيدة الإسلامية الخاتمة انفتحت على أصحاب الملل المختلفة، فأصبحوا شركاء في بناء الحضارة الإسلامية، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وهذا ما أكّده القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: ١٧). فالآية تُقرّر إرجاء أمر الجزاء بسبب الاعتقاد إلى الله تعالى، وإذا قبل المُخالف عقدياً بالجزية، وهي تعني تطبيق قانون الشريعة عليه، فله عصمة الدم والمال. وقد قرّر الفقهاء أنّ "عقد الذمّة في إفادة العصمة كالحلف عن عقد الإسلام، في عصمة الدم والمال، ولذا لا يصحّ إلا مؤبداً." ٢١

ويؤكد القرآن الكريم أنّ الاختلاف في الدين ليس عائفاً من عوائق العيش المشترك، على أساس البر والإحسان، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨).

ولكن، ينبغي لنا الانتباه إلى مرض عضال يصيب أهل الأديان، فينقلب بالدين عن مقصوده، مثلما أصاب أهل الكتاب من قبلنا حين تفرّقوا من بعد جاءهم البينة؛ لما في قلوبهم من التحاسد والتباغض. وهذا يستدعي الإفادة من خيرات الأمم التي عرفت الصراع الديني وتجاوزته، وتفصّي كيف تمكّنت من المحافظة على أسباب وجودها، وتحقيق نهضتها.

إنّ تحوّل النظام الديني عن وظيفته الأساسية التي يحفظ بها أسباب التآنس لهو من أخطر ما يُدّمّر المجتمعات، وهو الداء الذي أصاب أهل الكتاب من قبلنا. ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (المائدة: ٨٠). وما زاد الأمر سوءاً أنّ

٢١ الكاساني، علاء الدين. بدائع الصنائع، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ج٧، ص١١١.

القيادات الثقافية نفسها قد تأصل فيها داء التحاسد والتنافس. ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْبِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: ١٣). فالآية تشير إلى اختلال فكري تمثّل في نقض الميثاق، مما أدى إلى قسوة القلب، فانهار الأساس الأخلاقي للمجتمع، وانتهى به الحال إلى ما وصف الله تعالى به حال النخب الدينية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤). وكان فساد الذمم الذي أصاب النخب الثقافية موجباً لحلول سنن الله تعالى فيهم؛ بزوال وجودهم الحضاري: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢).

ولا شكّ في أنّ حديث القرآن الكريم عن الأمراض التي أصابت أهل الكتاب من قبلنا هو دعوة للاعتبار والوقاية؛ فما أصابهم قد يصيبنا، والماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء.

### ثامناً: موقف الجويني من أهل البدع والطوائف المتمردة على الدولة

يُمثّل الجويني المدرسة التي سعت إلى وضع حلول عملية لمواجهة مكامن الخطر الخارجي والداخلي؛ فأفرد في كتابه "غياث الأمم" بحثاً للحديث عن كيفية التعامل مع أهل البدع، الذين يُمثّلون أفراد طائفة تنتمي إلى أحد المذاهب، مُوظّفين هذا الانتماء سياسياً للتمرد على الدولة؛ إذ يُنبّه الجويني الحاكم على أنّ الخطر الداهم كامن في أهل البدع؛ وذلك أنّ بناءهم الثقافي مغاير لثقافة الأمة، بحيث يُسوّغ الخروج عسكرياً على الحاكم، مستباحاً القتل. وعلى هذا، فوجود أهل البدع في مجتمع ما يُمثّل أزمة خطيرة لا بُدّ أن يتعامل معها الأمام بما يليق بها. "وأعتقد ذلك شوفه الأعظم، وأمره الأهم، وشغله الأظم." ٢٢

٢٢ الجويني، أبو المعالي عبد الملك. غياث الأمم، تحقيق: عبد العظيم الديب، قطر: مكتبة إمام الحرمين، ١٤٠١م، فقرة ٢٧٤، ص ١٨٦.

وينبغي أن يُفهم كلام الجويني هذا بناءً على خبرته التاريخية؛ فقد عاش في زمن فتنة طائفية ومذهبية، وليس شرطاً أن يكون الحل الذي اقترحه هو الأمثل للمجتمعات كلها؛ فمراد البحث هو تناول خبرات السابقين واستعراضها، وصولاً إلى أفضل الحلول المقترحة وأنجعها.

ومشكلة أهل البدع التي يتحدث عنها الجويني تتمثل في التكفيرين الذين قد يظهرون في أيّ زمان ومكان، فيُكفِّرون المجتمع، ويستبيحون قتل مخالفيهم، وهم يُحسبون أنهم يُحسِنون صنْعاً. فوجودهم في أيّ مجتمع هو خطر داهم وقنبلة موقوتة تنتظر لحظة ضعف للاستفراء بالأمة؛ لذا، يجب التخطيط جيداً لمواجهة هذا الخطر، ومعالجة المشكلة من جذورها، واستئصال رؤوس الفتنة التي تُنتج هذا الفكر الخطر على بقاء الجماعة ووجودها.

ويُقدّم الجويني حلولاً مقترحةً لأحوال ثلاثة تدخل في باب تحليل البدائل:<sup>٢٣</sup>

١. في حال قوة الدولة وضعف الطوائف المتمردة: "فينبغي أن تدخل هذه المسألة في أولويات الدولة، وأعتقد ذلك شوفه الأعظم، وأمره الأهم، وشغله الأظم؛ فإنّ الدين أحرى بالرعاية، وأولى بالكلاية، وأخلق بالعناية، وأجدر بالوقاية، وأليق بالحماية."<sup>٢٤</sup>

٢. في حال شعور الطوائف المتمردة بالقوة، ووجوب استخدام القوة الخشنة في ردعهم: "فإنّ لم يتمكّن من دفعهم إلا بقتال واعتناق أهوال." فرأى الجويني جواز ذلك، وأقام عليه الدليل من القياس الأولوي على محاربة مانعي الزكاة، وفي هذا يقول: "وإذا كان الإمام يجر عساكر الإسلام إلى البغاة ومانعي الزكاة، وأثر امتناعهم عن الطاعة والخروج عن ربة الجماعة آل إلى فرع الدين، فما يؤول إلى أصل الدين أولى باعتناء إمام المسلمين."<sup>٢٥</sup> فهذا إن كان الإمام مقتدرًا على النابغين، وصدّ الممتنعين المبتدعين.

٣. في حال تفوق الطوائف المتمردة على الأمام عسكرياً: "وإنّ تفاقم الأمر، وفات استدراكه الإطاقة، وعسرت مقاومة مصادمة ذوي البدع والأهواء، وغلب على الظن أنّ

<sup>٢٣</sup> الكيلاني، عبد الله. إدارة الأزمة: مقارنة التراث والآخر، قطر: مركز البحوث والدراسات، ط ١، ١٤٣٠هـ،

سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، ص ١٥٠.

<sup>٢٤</sup> الجويني، غياث الأمم، مرجع سابق، فقرة ٢٧٤، ص ١٨٦.

<sup>٢٥</sup> المرجع السابق، فقرة ٢٧٤، ص ١٨٧.



مسالمتهم ومشاركتهم وتقريرهم على مذاهبهم وجه الرأي، ولو جارهم لتألبوا وتأشبوها وناذبوا الإمام مكادحين مكافحين، وسلوا أيديهم عن الطاعة، ولخرج تدارك الأمور عن الطوق والاستطاعة. وقد يتداعى الأمر إلى تعطيل الثغور في الديار، واستجراء الكفار.<sup>٢٦</sup> وهنا يقترح الجويني التعامل مع الأزمة على النحو الآتي:

أ. عدم استخدام القوة الخشنة؛ "حتى لا يظهر ما يخرق حجاب الهيبة، فيتجرأون على الدولة إذا كشفوا ضعفها."<sup>٢٧</sup>

ب. استخدام حرب العقول والإرادات والحرب المعلوماتية؛ إذ يقول: "والمرء يعجز لا المحالة."<sup>٢٨</sup> أي إن الحيلة وحرب العقول ينبغي أن تكون الوسيلة حتى وإن اختل ميزان القوى.

ت. إبعاد القيادات؛ إذ يقول: "وَحَرَصَ أَنْ يَسْتَأْصِلَ رُؤَسَاءَهُمْ، وَيَجْتَنِّتَ كِبَرَاءَهُمْ، وَيَقْطَعَ بِلُطْفِ الرَّأْيِ عَدَدَهُمْ."<sup>٢٩</sup>

ث. تحيُّن الوقت المناسب للتدخل، "فإن كان كذلك لم يظهر ما يخرق حجاب الهيبة، ويجر منتهاه عسراً وخبيئاً، لكن إن أعمد عنهم صوارمه، لم يكف عنهم صرائمه وعزائمه."<sup>٣٠</sup>

ج. توزيعهم في المناطق حتى لا يكونوا أغلبية في منطقة ما "وَيُبَدَّدَ فِي الْأَقْطَارِ الْمُتَبَايِنَةِ عَدَدَهُمْ."<sup>٣١</sup>

ح. ويجمع النقاط السابقة مفهوم استخدام الحيلة بوجود فرصة سانحة للخروج من الأزمة. فالمرء يعجز لا محالة؛ أي إنَّ الحيلة لا تنتهي. وفي هذا المعنى يقول: "وتربص بهم

<sup>٢٦</sup> المرجع السابق، فقرة ٢٧٥، ص ١٨٨.

<sup>٢٧</sup> المرجع السابق، فقرة ٢٧٤، ص ١٨٦.

<sup>٢٨</sup> المرجع السابق، فقرة ٢٧٤، ص ١٨٦. وردت هذه العبارة في بعض النسخ والمرء يعجز لا محالة، وهي تعني أن المتابعة تؤدي إلى عجز أهل البدع، وفي نسخ أخرى والمرء يعجز لا محالة، وهي تعني أن الحيلة لا يصيبها العجز، بل ينبغي أن تكون الوسيلة عن اختلال ميزان القوة لصالح الخصم.

<sup>٢٩</sup> المرجع السابق، فقرة ٢٧٥، ص ١٨٨.

<sup>٣٠</sup> المرجع السابق، فقرة ٢٧٥، ص ١٨٨.

<sup>٣١</sup> المرجع السابق، فقرة ٢٧٥، ص ١٨٨.

الدوائر، واضطرهم بالرأي الثاقب إلى أضيق المعابر والمصائر، وأتاهم من حيث لا يحتسبون، وحرص أن يستأصل رؤساءهم، ويبحث كبراءهم، ويقطع بلطف الرأي عددهم، ويبدد في الأقطار المتبانية عددهم، ويحسم عنهم على حسب الإمكان مددهم، ويعمل بمغمضات الفكر فيهم سبل الإيالة، والمرء يعجز لا محالة.<sup>٣٢</sup>

ولو أنعمنا النظر فيما قدّمه الجويني لوجدنا أنه فضّل في علاج الحالة المرَضِيَّة المُمْتَلَّة في تمرّد الطوائف نتيجة شعورها بالقوة. ولكن، بقيت قضية واحدة يتعيّن دراستها، ومثّلها السؤال الآتي: كيف يمكن صهر الطوائف ملداً ونحلاً ومذاهب في إطار الأمة الجامعة؟ وهذا يدعونا إلى دراسة خبرات الأمم الأوروبية التي عرفت الصراع الديني بين الكاثوليك والبروتستانت، ثم انتهت إلى مفهوم المواطنة والمساواة، فهل يمكننا الاستفادة منها في واقعنا المعاصر؟

### تاسعاً: التأسيس لمفهوم المواطنة: تجربة الأمم الأوروبية أنموذجاً

عرفت أوروبا في تاريخها دولاً قائمة على أساس ديني، بحيث كانت الشعوب على دين ملوكها، ومن لا يتدين بدين الملك يُجبر على تغيير معتقده. ثم دخلت هذه الدول في صراع ديني بعد حرب وستفاليا عام ١٦٤٨م التي استمرت ثلاثين عاماً، وانتهت إلى فكرة الاعتراف بالدولة القومية ذات السيادة؛ لإبعاد سلطة الكنيسة الكاثوليكية، ومنع سلطة بابا روما عن التدخل في سياسة الدولة. ومع مرور الزمن، لم يعد للدين دور كبير في صنع السياسات، ولا في اعتباره المرجع القانوني لشؤون الدولة، التي بدأت تبني السياسات على أساس مصلحي، وانتهت الخبرة الإنسانية إلى ترسيخ حقوق للإنسان، بصرف النظر عن دينه وجنسه ولونه وعرقه؛ ما أسهم في ترسيخ مفهوم المساواة للمواطنين كافة. أمّا أهم هذه الحقوق فكانت حق الإنسان في الحرية، والمساواة، والتعبير عن الرأي، والتملك، والتدين فيما يُعرف بحرية الضمير. وقد نصّ على ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادتيه الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. ونصّ هذا الإعلان أيضاً على حقوق

<sup>٣٢</sup> المرجع السابق، فقرة ٢٧٥، ص ١٨٨.

سياسية للمواطن تتضمن حقه في الانتخاب، والمشاركة في حكم بلاده. وقد تأكد ذلك كله بمواثيق دولية لحقوق الإنسان، مثل العهدين الدوليين<sup>٣٣</sup> للحقوق السياسية والحقوق الاقتصادية.<sup>٣٤</sup>

وتعدُّ التجربة الأوروبية نموذجاً لافتاً للكثير من المفكرين والسياسيين العرب، وهي بلا ريب تستحق التوقف عندها، ودراستها، والإفادة من خبرتها في تجاوز أسباب الصراع الداخلي الديني، وإقرار حق الأفراد في تكوين جمعيات مدنية، ثمَّ لها مؤسسات تعمل ضمن إطار القانون؛ ما جعل الخلافات السياسية الداخلية تُحسَم في البرلمان، والخلافات الدولية تُحسَم في المؤسسات الدولية.

فكل ذلك يجب الإفادة منه، ولكن ببصيرة ثاقبة، ورؤية مستنيرة؛ وذلك أنَّ كثيراً من الدراسات أخطأوا في فهم الأسباب التي نهضت بأوروبا، فذهبوا إلى أنَّ سرَّ نهضتها هو قيام مفهوم المواطنة على أساس تحييد الدين جانباً، ورغبوا في تكرار التجربة بالمشرق العربي تحت مسمى العلمانية؛ وهي مصطلح له تعريفات وأسماء عدَّة، مثل: الدنيوية، وإلغاء الإيمان بالآخرة. وهذا ما ترفضه المعايير والضوابط الإسلامية. وهناك من ينظر إلى العلمانية بوصفها طريقة مثلى لجعل حياتنا الدنيا وعالمنا المعيش أكثر جودة.<sup>٣٥</sup> وهي بهذا المعنى تلتقي مع الفكرة الإسلامية في أنَّ الدين جاء لإصلاح الحياة وإعمارها، وهذا ما صرَّح به الجويني بقوله: "فإنَّ أُمُورَ الدُّنْيَا عَلَى مَرَّاسِمِ الشَّرِيعَةِ تَجْرِي، فَهِيَ الْمُتَّبَعُ وَالْإِمَامُ فِي جَمِيعِ بَحَارِي الْأَحْكَامِ، وَالرَّأْيُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُقْتَضَى الشَّرْعِ."<sup>٣٦</sup> وقوله: "فَجَرَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الدِّينِ مَجْرَى الْقَوَامِ، وَالنِّظَامُ مِنَ الدَّرَائِعِ إِلَى تَحْصِيلِ مَقَاصِدِ الشَّرَائِعِ."<sup>٣٧</sup>

<sup>٣٣</sup> المقصود العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي للحقوق الاجتماعية والاقتصادية، وهما من الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان.

<sup>٣٤</sup> موسى، أمير. حقوق الإنسان: مدخل إلى وعي قومي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢م، ص ١٥٠ وما بعدها.

<sup>٣٥</sup> المسيري، عبد الوهاب. العظمة، عزيز. العلمانية تحت المجهر، دمشق: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠م، ص ١٥ وما بعدها.

<sup>٣٦</sup> الجويني، غياث الأمم، مرجع سابق، ص ٨٥.

<sup>٣٧</sup> المرجع السابق، ص ١٨١.

لكنَّ الفكر العلماني بهذا المعنى القريب من الشريعة لا يملك في داخله معالجة لرغبة الإنسان الجارحة في السيطرة على الشهوات؛ فهي لا تتحصّل إلا بالإيمان بوجود الآخرة. ولهذا، فقد كان من مقاصد الشريعة بناء "نَفْسٍ مُطِيعَةٍ إِلَى رُشْدِهَا، مُنْتَهِيَةٍ عَنْ غِيَّهَا"،<sup>٣٨</sup> و"الاكتفاء من هذه الدنيا ببلاغ"،<sup>٣٩</sup> وتوليد القناعة والحث على الإنتاج، في حين أنَّ الفكر الرأسمالي يقوم على أساس النهل من المتع، وحرية جعل كل شيء سلعة، فضلاً عن الخلط بين الحاجات والرغبات والشهوات.

والحقيقة أنَّه لا يمكن السيطرة على هذه الرغبات إلا ببناء قيمي يعظم الإنتاج على الاستهلاك، وهذا أمر مهم في بناء الحضارات وتحقيق التنمية، وهو يعتمد على فكرة الإيمان باليوم الآخر والحساب. وعلى هذا، فلا نرى في الفكرة العلمانية بشقيها القريب والبعيد حلاً لمشكلاتنا، ويكمن الحل الأفضل في دراسة عوامل نهضة أوروبا، مُثَلَّةً في المساواة، والمساءلة السياسية، وتمكين الفرد من حقوقه، وتأصيل هذه المفاهيم على أسس إسلامية، بحيث تنبت هذه الأفكار في ثقافتها الحقيقية، ولا تكون شكلاً من أشكال الهيمنة الغربية.

## عاشراً: التحديات التي تواجه مُكوّنات المجتمع الحديث، وسبل بناء الجماعة الواحدة

تتنوع الهويات الدينية والطائفية والمذهبية والقومية والجهوية في الكثير من البلاد العربية، ويتمثّل الخطر في تحوّل هذه الهويات الفرعية إلى هويات طائفية متناحرة، بما يُهدّد سلامة الدول والمجتمعات، ويُنذر بتمزّق الكيانات، ويُسبّب حروباً دمويةً قد يتطلّب إلّام جراحها سنين طويلة.

ففي أحد البلدان، نلاحظ صراعاً سياسياً يُغذّيه ويُشعل جذوته البُعد الديني بين الشيعة والسُنة، وفي بلد ثانٍ نجد الصراع بين السُنة والعلويين، وفي بلد ثالث بين

<sup>٣٨</sup> الماوردي، أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص ١٤٦.

<sup>٣٩</sup> الجويني، غياث الأمم، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

المسيحيين والمسلمين، وفي بلد رابع بين الشماليين والجنوبيين، وفي بلد خامس بين العرب والكرد، وفي بلد سادس بين التكفيريين والمعتدلين، وفي بلد سابع بين العرب والأمازيغ، إلخ.

والملاحظ أنّ هذه الحروب تغفل التاريخ الطويل من العيش المشترك، وتستحضر لحظات محدودة من التاريخ لتبرير حروب اليوم. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: لماذا ظهرت هذه الانقسامات اليوم بالرغم من التعايش السلمي الذي ساد هذه المنطقة سنواتٍ وعقوداً وقرونًا عدّة؟

ونجيب عن السؤال بوجود أربعة أسباب أفضت إلى نشوب الصراع اليوم:

١. سبب سياسي يقف خلفه سياسيون وقوى سياسية محلية وإقليمية ودولية، لهم مطالب ومصالح ومطامح ومطامع، ووجدوا في التقسيم والتفرقة واستغلال الدين والمذهب والعرق والطائفة والقومية والجهوية وسيلة فاعلة وأسطورة جاذبة للجماهير، يمكن بها تنفيذ ما يرمون إليه. والخروج من هذا المأزق يتطلّب التوافق على حلول وطنية سياسية، لا يكون فيها غالب أو مغلوب. فالصراع الديني والجهوي هنا ما هو إلا عرض لمصالح سياسية، فإذا اتّفق على المصالح السياسية للأطراف المختلفة توقفوا عن تغذية الصراع بالهويات الفرعية.

٢. سبب تاريخي تقليدي؛ إذ جرى العرف على طبع البلاد بطابع واحد فيه شيء واضح من الحِدّة: العروبة فقط، أو الإسلام فقط، أو الكرد فقط، أو الشمال فقط، أو الشيعة فقط؛ ما أدّى إلى التهميش المعنوي أو العملي لمُكوّنات المجتمع الأخرى. وهذا يتطلّب قبول مبدأ التعددية والتنوع بوصفه الوضع الطبيعي لأيّ مجتمع، والنظر إلى الإسلام بوصفه ديناً ومُكوّن أمةٍ تستوعب غير المسلمين.

٣. سبب سلطة الأنظمة والحكم؛ فقد دأبت أنظمة الحكم في كثير من الأقطار العربية على إقصاء المُكوّنات الأخرى وتهميشها، وحصر السلطة والقوة والمناصب في مُكوّن أو أكثر من دون مراعاةٍ للمُكوّنات الأخرى. ويكمن الحل هنا في التحوّل إلى الحكم الديمقراطي القائم على مبدأ المواطنة، والمشاركة، والمساواة، وسيادة القانون.

٤. سبب تربوي ثقافي ديني؛ إذ لا تتناول مناهج التربية والتعليم ومنتجات الثقافة الجماهيرية وأنشطة الوعظ والإرشاد الديني مُكوّنات المجتمع بصورة إيجابية، ولا سيما ما يتعلق بالأديان والمذاهب والطوائف.

ومن المعلوم أنّ التجاهل أو التغافل لا يُفضي إلى نتائج إيجابية أبداً؛ لأنّه يفسح المجال للفئات المتطرفة والقوى المعادية والفئات المتصارعة أنّ تملأ الفراغات بالصور المُشوّهة التي تخدم أغراضها. والتجاهل أيضاً لا يُؤلّد -بالضرورة- المحبة الدائمة والتعاقد الصُّلب المنشود في جسم المجتمع كله. ولمّا كان ديدن معظم الأقطار العربية إغفال مُكوّنات المجتمع، فإنّ الفتى والفتاة يكتشفان -بعد ما يشبّان عن الطوق- وجود فئة لا يعرفان عنها إلا أقلّ القليل، فيسهل انقيادهما وجرّهما إلى حركة عدائية مناهضة للآخرين، بحُجة ذرائع ومسوغات عدّة، أو تأثرهما بفتاوى قديمة وردت في كتابات قبل مئات السنين في عصر ما قبل الدولة الحديثة، وعصر ما قبل المواطنة، أو سماعهما من الخطباء والوعاظ بوجوب تكفير هذه الفئة، أو ذلك المذهب أو الكتاب، وغير ذلك الكثير. وهنا تتحفّز الحركات المتطرفة لاستغلال هذا الوضع، والإفادة من الجهل بالآخر في الانقضاض على بعض مُكوّنات المجتمع، مُوظّفةً شعور الشباب بالعداء تجاه الفئات التي لا يعرفون عنها إلا ما هو قديم أو مُشوّه. وهنا يتضح كمّ العبء الملقى على كاهل مؤسسات الوعظ والإرشاد والتربية والتعليم ووسائل الإعلام لتغيير هذه الصورة.

والجدير بالذكر أنّ الجماعات المتطرفة التي تستهدف تمزيق أوصال الأمة وإشعال فتيل الصراعات فيها قد تسيء تفسير بعض المفاهيم التراثية التي ذكرها فقهاؤنا الأجلاء، وكانت صحيحة في سياقها التاريخي؛ لذا، يجب التأسيس لفقه جديد يراعي القيم القرآنية العليا في موضوعات مهمة، مثل: العدل، والتعارف، والرحمة، والإحسان، والإنصاف، وتفعيل هذه القيم في ميدان حقوق المواطنين؛ إذ يوجد في المشرق العربي أكثر من عشرين فئة، أو طائفة، أو مُكوّناتاً من مُكوّنات المجتمع، أمثال: المسلم، والمسيحي، والدرزي، والصابئي، والعلوي، والإيزيدي، والبهائي، والعربي، والكرد، والشيشاني، والتركماني، وغير ذلك الكثير. فهذه المُكوّنات جميعاً استوعبتها الثقافة العربية الإسلامية منذ الفتح

العمرى، وتعاملت معها بوصفها جزءاً أصيلاً من الأوطان والمجتمعات، وهي بحكم القانون والمواطنة جزء لا يتجزأ من الوطن، وبحكم القانون الدولي وحقوق الإنسان تقف على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.

ولكن، ما الصورة التي يحملها الشباب في أذهانهم عن هذا الموضوع؟ ماذا يقرأون من الكتب؟ ماذا يشاهدون في المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي؟ والحقيقة أن الواقع مُناقض لذلك تماماً في معظم الأقطار العربية. فالصور مُشوّهة، والأفكار منغلقة لا تُدرك التغيرات في الواقع الذي يسود بين أوساط الشباب. وهذا كله في إطار من الإحباط، والبطالة، والتدخلات الخارجية؛ ما يُنتج بيئة خصبة حاضنة للتطرف. والسؤال الأهم: هل يمتلك أستاذ التربية والتعليم والأستاذ الجامعي المهارة والقدرة اللازمة لمناقشة الطلبة في هذه الأفكار، وإقناعهم بالفكر الهادي إلى سواء السبيل؟

مما تقدّم يتبيّن أنّ حل هذه المشكلات يتمثّل في إعادة النظر في فلسفة التربية والتعليم وأطرها في المدارس، وتزويد الجامعات بكفاءات علمية تنتمي إلى الأمة، وتتحمّل بالفكر المستنير والفهم لروح العصر، والقدرة على الحوار والإقناع، فلا سبيل إلى فك الارتباط بين التطرف والتكفير والخروج على القانون من جهة، والانقسامات الفئوية والدينية والجهوية والقومية من جهة أخرى، إلا بتصحيح الصور الذهنية المُشوّهة المستفقاة من الماضي، ولا سيما تلك التي تستحوذ على عقول الشباب، في وقت مبكر.

ومن هنا، فإنّ الأقطار العربية جميعها بحاجة إلى تدريس سلسلة من المواد الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات، تحمل عنوان مُكوّنات المجتمع الوطني، وتواكبها منتجات الثقافة والإعلام والوعظ والخطابة، إلى جانب سبر نصوص التاريخ لكيلا تكون عبئاً علينا في مواجهة تحديات المستقبل، منطلقين من الرؤية القرآنية في التعامل مع التاريخ وأحداثه، نعتبر به، ولا نُسأل عنه، فلا نُحْمَلُ الأجيال اللاحقة مسؤولية ما سبق. ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَآكَرَمَا كَسَبَتْمْ وَلَا تَسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤١).

ويتعيّن علينا أيضاً التأسيس لمفهوم الأمة القطب، بحيث يكون التنوع والتعددية هما الوضع الطبيعي، مع التقاء على القيم المشتركة الجامعة في أذهان المواطنين وأفراد الأمة، فيصبح الإقرار بحرية الآخرين، والرغبة في التعايش والتعاون معهم، في إطار القانون والدولة وحقوق الإنسان والمواطنة، أشبه بالدروع التي تُحصّن الشباب، وتُمهّد الطريق لبناء مستقبل وطني وعربي قائم على الأمل وإبداعات الحاضر.<sup>٤٠</sup>

### خاتمة:

تناولت هذه الدراسة التمييز بين الطائفية والطائفية، وبيّنت أن الطائفية تطلق على جماعة تجمعهم رابطة دينية أو مهنية أو عرقية أو غيرها، أما الطائفية فهي انغلاق وانعزال شعوري ووجداني من أصحاب الطائفية على أنفسهم، وهي نوع من الانغلاق والانعزال الشعوري والوجداني، وتغليب مصلحة الطائفية على أسس العدالة.

والطائفية نوع من الهوى الذي يضلّ من اتبعه، فهو يعوق التعارف بين الشعوب والقبائل. كما أن الطائفية تفتح باب الصراع الداخلي والإقليمي والدولي بما يحول دون تحقيق التنمية وال عمران، بل على العكس فهو يوجه مكتسبات التنمية لحماية أمن الطائفية او الحروب بين الطوائف، فتخسر الأمة عوائد التنمية ولا تتمكن من توليد فرص العمل وتحقيق رفاه الأفراد.

والعوامل التي تؤدي إلى نشوء الطائفية خليط من العوامل السياسية والدينية ودافع البقاء حين تشعر الطائفية بخطر يمس وجودها نتيجة لغياب العدالة وغياب معايير حقوق الإنسان، وفي سبيل مواجهة الطائفية لا بدّ من تفكيك هذه العوامل.

وأحد أهم سبل مواجهة الفكر الطائفي تحقيق العدالة وتوليد الوعي بخطورة الفكر الطائفي على الطائفية نفسها لما يحمله التعصب الطائفي من بذور فناء الطائفية ذاتها؛ إذ تمرّ الطائفية بمراحل؛ من التجمع والتعصب للدفاع عن مصالح الطائفية ثم الدخول في

<sup>٤٠</sup> بدران، إبراهيم. مكونات المجتمع وتصحيح الصورة المشوهة، الموقع الإلكتروني لطلبة نيوز:



صراع مع الطوائف الأخرى، وهنا يفتح الباب للتدخل الخارجي والدولي ولتصبح البلاد ساحة لحروب بالوكالة، ثم الصراع داخل الطائفة نفسها بما يؤول لفنائها. وخلصت الدراسة إلى النقاط الآتية:

١. إن حماية أفراد الجماعة ينبغي أن يكون بتحقيق العدالة الشاملة لا بالانغلاق الطائفي.

٢. إذا دخل الصراع الطائفي إلى مستوى تهديد الدولة والتمرد، فهناك عدة حلول أمنية لإدارة الأزمة، تبين سبل التعامل مع القيادات والتفريق بينهم وبين سائر أفراد الطائفة، ولكن هذه الحلول ينبغي أن يسبقها حل فكري لتحصين أفراد الأمة من الانزلاق للصراع الطائفي.

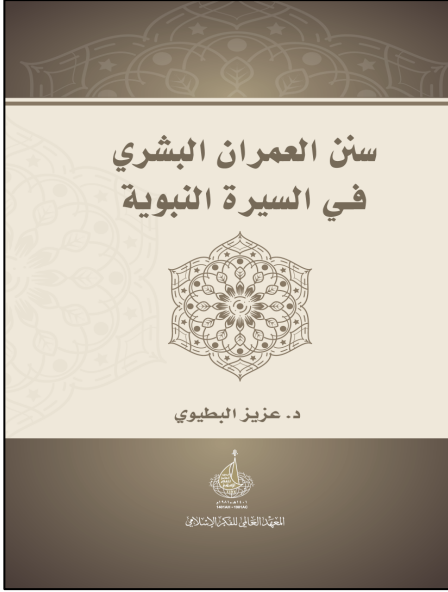
٣. أبرزت الدراسة نماذج تراثية ومعاصرة للتعامل مع التنوع داخل المجتمع على نحو يستوعب التنوع، ومن ذلك نموذج دولة الرسول في المدينة المنورة (دولة المواطنة في ظل مرجعية دينية)، وبيّنت كيف تعاملت مع التنوع العرقي والملي، وكيف حققت العدالة مع الجميع بما يمهّد السبل لبناء مفهوم الأمة القطب المستوعبة للتنوع. وفي هذا دحض للنظرة السطحية التي ترى أن قيام دولة المواطنة يستلزم عدم وجود مرجعية دينية.

٤. كشفت الدراسة عن أهمية الإفادة من خبرات المجتمعات الإنسانية التي استطاعت استيعاب التنوع العرقي والملي في إطار القانون والدولة وحقوق الإنسان والمواطنة، وبيّنت أن عدالة القانون واحترام حقوق الإنسان هو تحصين للجهة الداخلية بما يمهّد الطريق لبناء مستقبل وطني قائم على الأمل الفسيح بالحياة الطيبة التي تعطي "لكل درجات مما عملوا"، وتقدر الإنسان بإنجازته بقطع النظر عن هويته الفرعية.

٥. إن الدعوة لإقامة دولة المواطنة على أسس لا دينية بذريعة مواجهة الطائفية، خطأ منهجي يحول دون الإفادة من قدرة الدين على تحقيق العدالة، ومن الخير توظيف القيم الدينية كالشهادة بالحق في تحصين المجتمع من الطائفية.

٦. ثمة حاجة ماسة لمزيد من الدراسات في سبل تحصين المجتمع من الانزلاق نحو الطائفية وبناء مجتمعات تمهّد السبل لأفرادها لتحقيق التنمية.

## صدر حديثاً



## سنن العمران البشري

## في السيرة النبوية

تأليف: د. عزيز البطوي

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧

٦٥٦ صفحة

يعد محاولة جادة لتحديد درس السيرة النبوية وذلك من خلال استنباط الرؤية السننية التي كانت وراء ذلك التحول التاريخي الذي قاده النبي ﷺ لبناء عمران إسلامي إنساني عالمي، بما يكشف عن غنى هذه السيرة وعطائها اللامحدود في الزمان والمكان، وعن تبوئها القدوة التاريخية النموذجية القصى لاستلهاام كليات الفقه السنني في أبعاده المتعددة، وبيان وظيفتها الحضارية وإمكاناتها في الاستجابة لقضايا العصر وتقديم الإجابات المناسبة لمشكلات الحضارة المعاصرة، وإفادة العلوم الاجتماعية والإنسانية منهجياً ومعرفياً في التحقق برؤية نسقية تركيبية متكاملة عن الكليات النازمة للعمران والقاضية بإنقاذ الاجتماع المعاصر.

وقد تأسس هذا البحث على إشكال تحديد أفق خدمة السيرة النبوية نظراً وعملاً وكيف يمكننا إعادة قراءة السيرة النبوية وفق المقاربة السننية العمرانية؟ وما هي الرؤية القرآنية الحاكمة لسنن العمران البشري؟ وكيف يمكن للأمم اليوم في شخص نخبها العلمية والفكرية وقياداتها الدعوية والسياسية ومؤسستها الفقهية والاجتماعية والاقتصادية أن تحكم صنعة الكليات السننية لفقه الاجتماع البشري مستهدية في ذلك ببصائر السيرة النبوية وأنوارها؟ وما هي هذه الكليات السننية ومحدداتها المنهاجية؟ ثم كيف يسهم هذا الكشف عن هذه الكليات السننية في أفق تطوير مناهج التعامل مع وقائع السيرة النبوية وقدرتها على فتح آفاق حقيقية في البحث العلمي في مجال الشرعيات والإنسانيات والاجتماعيات؟

جائزة  
المعهد العالمي للفكر الإسلامي  
لأحسن كتاب في حَقلي علم الاجتماع وعلم النفس  
(٢٠١٨-٢٠١٩)



1401 هـ - 1981 م  
1401AH - 1981AC

المعهد العالمي للفكر الإسلامي



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

## جائزة المعهد العالمي للفكر الإسلامي

لأحسن كتاب في حقلَي علم الاجتماع وعلم النفس

(٢٠١٨-٢٠١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة:

منذ إنشاء المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام ١٤٠١ هـ ( ١٩٨١م)، وهدفه الأساس هو بناء رؤية إسلامية شاملة قادرة على صوغ نظام معرفي إسلامي، وتطوير منهجية للتعامل مع الأصول التأسيسية (القرآن الكريم والسنة النبوية)، ومع التراث الإسلامي والإنساني، لتنزيل هداية الوحي على الواقع وترشيد الطبايع، وتطوير منهجية علمية لفهم واقع الأمة والعالم المعاصر في ضوء المقاصد العليا للإسلام؛ أملاً في تكوين شخصية قادرة على التفاعل والإسهام الحضاري.

وانطلاقاً من إيمان المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأهمية العمل البحثي وضرورته الحضارية بوصفه وسيلة مهمة من الوسائل التي استخدمها المعهد للتعبير عن أهدافه، وحرصاً على الإفادة من جهود الباحثين في تطوير أفكارهم ضمن التخصص العلمي الذي ينشغلون به، فقد ارتأى المعهد أن يخصص جائزة سنوية لأحسن مؤلف في الحقول المعرفية التي ركز عليها المعهد منذ نشأته. ولا سيما حقول علوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية.

وتُخصّص الجائزة لعام ٢٠١٨-٢٠١٩ لحقلين معرفيين مهمين: أحسن كتاب في علم الاجتماع، وأحسن كتاب في علم النفس؛ نظراً للأهمية الخاصة لهذين الحقلين، إضافةً إلى الهيمنة المعرفية الغربية الضاربة أطنابها في صوغ النظريات وفي مصادر المعرفة وأدواتها المتصلة بهذين العِلْمين.

ويأمل المعهد العالمي للفكر الإسلامي من خلال هذه الجائزة، وبالجهود البحثية المتواصلة، أن يسهم في تطوير النظريات المتصلة بهذين العِلْمين، انطلاقاً من الرؤية الحضارية، في محاولة للإسهام في الفعل الحضاري والعتاء الإنساني.

### طبيعة الجائزة وأهدافها:

أولاً: تُخصّص الجائزة تكريماً للدراسات والبحوث والمؤلفات الفكرية ذات الإضافة المعرفية النوعية الجديدة، المتميزة في إغناء الفكر الإسلامي القائم: أولاً على القيم العليا الحضارية من حيث البنية المعرفية، وثانياً على قيم الإصلاح والتنوير والتحديد من حيث الأهداف، وثالثاً على قيم الوسطية والاعتدال والحوار الحضاري من حيث المنهج.

ثانياً: تهدف الجائزة إلى استشارة التفكير المعربي بوصفه فريضة إسلامية عند أهل العلم والمعرفة والنظر والنقد والتأليف، وتشجيعهم على المساهمة الفكرية النوعية في بناء المعرفة الإنسانية المعاصرة والمستقبلية على القيم الإسلامية العليا.

ثالثاً: تسهم الجائزة في إحداث التراكم المعرفي في العلوم والمعارف التي تحتاج إلى الرؤية الإسلامية، بوصفها رؤية تستمد ماهيتها من الوحي الإلهي والهدي النبوي.

رابعاً: الإسهام في تفعيل المناهج المناسبة للتعامل مع التفكير الإنساني المعاصر ولا سيما العربي منه.

#### شروط التقديم لنيل الجائزة:

- ١- أن يكون الكتاب المرسل إلى الجائزة غير منشور ورقياً أو إلكترونياً.
- ٢- أن تتوفر في البحث شروط البحث العلمي من حيث التوثيق والاقتباس وتقسيم الفصول إلخ. (مرفق تصور المعهد)
- ٣- يمكن مشاركة الرسائل الجامعية على أن يتم تكييف هذه الرسالة وتطوير فكرتها لتتنسق مع أهداف الجائزة ورؤيتها، مع التقيد بالشروط الأول.
- ٤- أن يكون الكتاب مؤلفاً باللغة العربية وغير مترجم إليها.
- ٥- أن تتسق رؤية الكتاب مع الرؤية الكلية الإسلامية (رؤية العالم) في تأصيل العلوم والمعارف، أملاً في وضع نظريات إسلامية في المجالات المعرفية.
- ٦- لا يقل حجم الكتاب عن (٣٥٠) صفحة (١٠٠ ألف كلمة)، بخط ( Traditional Arabic ) بحجم (١٦).
- ٧- يجوز كتابة الكتاب بصورة فردية أو جماعية.
- ٨- يمكن للمرشح أن يتقدم للجائزة بصورة فردية أو بترشيح من مؤسسته.
- ٩- تُسحب قيمة الجائزة، إذا اكتشف أن الكتاب أحلّ بأحد شروط الجائزة أو بأحد أخلاقيات البحث العلمي.

- ١٠- يحق للجنة العلمية أن تحجب الجائزة في حال عدم ارتقاء المُقدّم إلى المستوى المطلوب.
- ١١- على المؤلف أن يزود إدارة الجائزة بسيرة ذاتية وعلمية محدّثة.

### قيمة الجائزة

- ١- الجائزة الأولى: خمسة عشر ألف دولار أمريكي (\$15000)
- ٢- الجائزة الثانية: عشرة آلاف دولار أمريكي (\$10000)
- ٣- الجائزة الثالثة: خمسة آلاف دولار أمريكي (\$5000)
- ٦- تنظر إدارة النشر في المعهد العالمي للفكر الإسلامي في إمكانية نشر الأعمال الفائزة.
- ٧- تنظر إدارة الترجمة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي في ترجمة هذه الأعمال أو مختصراتها إلى اللغات الحية الأكثر انتشاراً في العالم.

### آليات التقديم:

- ١- ملء نموذج المشاركة، وإرفاق السيرة الذاتية للمؤلف، وصورة شخصية حديثة، ونسختين من الكتاب المؤلف (نسخة بنظام word، ونسخة بنظام pdf)
- ٢- يتم إرسال الكتاب إلى العنوان الآتي: arabicbookaward@iiit.org باسم الأمين العام للمعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- ٣- آخر موعد لتسلّم الكتاب هو ٣١-١٢-٢٠١٨
- ٤- الإعلان عن النتائج ١-٣-٢٠١٩
- ٥- سيتم توزيع الجوائز في حفل خاص يقيمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بتاريخ ١٥-٤-٢٠١٩.

## مقترحات حول الكتاب المقدم للجائزة

- ١- لما كان المعهد العالمي للفكر الإسلامي هو الذي يقدم هذه الجائزة، فإن من المتوقع أن تأتي الكتب المقدمة إلى الجائزة ضمن اهتمامات المعهد في الإصلاح الفكري لواقع الأمة الإسلامية، لتأكيد قدرة هذه الأمة على الحضور العلمي في ساحة العالم عن طريق الإسهام الفاعل في تطوير المعرفة العلمية في حقولها المختلفة وترشيدها. وهذا يعني إعمال رؤية العالم الإسلامية في التحليل النقدي للمعرفة والتقويم الموضوعي لها، والاشتباك مع الرؤى المرجعية التي تنطلق منها المعرفة المعاصرة وتطوير البديل حيث يلزم.
- ٢- نتوقع أن يكون الكتاب مادة جديدة تختلف عما هو متداول من الكتب في علم الاجتماع أو في علم النفس من حيث الموضوع والمنهج. ويتناول نشأة المعرفة وتطورها وحالتها الراهنة، على المستوى العالمي. ومع أن الأصل فيه أن يكون كتاباً علمياً (أكاديمياً متخصصاً)، فإننا نأمل أن تتجلى الأهمية العملية لمادة الكتاب في دعمها للجهود العملية الرامية إلى تحقيق النهوض الحضاري للمجتمعات الإسلامية المعاصرة.
- ٣- إننا نأمل أن تأتي الكتب الفائزة بالجائزة في المستوى العلمي الذي يجعل الكتاب أو ترجمته إلى اللغات الأخرى حدثاً علمياً بارزاً لدى الجماعة العلمية المختصة في موضوعه.



## الملاحظات العامة في رqn المادة وتدقيقها

- ١- يكون لكل كتاب مقدمة وخاتمة؛ ويكون حجم المقدمة: في حدود (٢٥٠٠ كلمة)، وتتضمن تحديد موضوع الكتاب، وأهدافه، وأهميته، وطبيعة الأدبيات المتوفرة حوله، ومنهجية البحث التي سيسلكها الباحث. أما الخاتمة: فيكون حجمها في حدود (٢٥٠٠ كلمة) تتضمن خلاصة الدراسة وأهم نتائجها وتوصياتها. والمقصود بالخلاصة: الأفكار الأساسية التي يود الباحث أن يتجه تفكير القارئ إليها، والمقصود بالنتائج: الإضافة المعرفية التي تمثل قمة الدراسة، والمقصود بالتوصيات: كيفية توظيف الأفكار التي قاد إليها البحث في تطوير الواقع، وبيان الأسئلة التي أثارها البحث وحاجتها إلى إجابات عن طريق مزيد من البحوث.
- ٢- تقسيم الجسم الرئيسي للكتاب إلى عدد مناسب من الأبواب والفصول والأقسام الفرعية، تتسق مع حجم الكتاب، بعناوين مناسبة تتمايز فيها الفصول من بعضها، وترتبط كلها بعنوان الكتاب.
- ٣- يستعمل في رqn المادة (أي صفها على الكمبيوتر) برنامج MS words، حرف Traditional Arabic، حجم ١٦، ويستعمل الحرف نفسه نوعاً وحجماً بلون أسود للعناوين الجانبية.
- ٤- يتم توثيق الآيات القرآنية بعد نص الآية مباشرة في المتن، وليس في الهامش. ويتم ذلك بين قوسين مع وضع اسم السورة تليها نقطتان رأسيتان ثم رقم الآية أو الآيات. مثال: (البقرة: ٧٨-٧٩)، دون مسافة قبل الشارحة أو بعدها.
- ٥- إذا لزم وجود مادة باللغة الإنجليزية، فإنها توضع من دون أقواس، وبحرف من نوع Times New Roman، حجم ١٣، بحروف صغيرة ما عدا أسماء الأعلام فتبدأ بحرف كبير وتكون باقي الحروف صغيرة.
- ٦- يفضل أن تؤخذ الآيات القرآنية من نص مبرمج ومشكول، وإذا تعذر فإن الآيات تطبع ويفضل بين الآية والأخرى نقطة، ولا مانع من وضع فاصلة بين فكرتين في الآية الواحدة عندما تكون الآية طويلة. وتميز الآيات بإشارة الآية أو الآيات المقتبسة قبلها وبعدها ﴿﴾.

## نظام التوثيق المعتمد

موضوع التوثيق	مثال
توثيق الكتب	العلواني، طه جابر. من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، هيرزدن-واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٧م، ص ٩٥.
حالة وجود أكثر من جزء للكتاب	ابن قدامة، موفق الدين. المعنى، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ٢٢٩.
حالة إذا لم يعرف تاريخ النشر	التفتازاني، سعد الدين. شرح التلويح على التوضيح، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.، ج ٢، ص ١١٨.
توثيق مقالات الدوريات	حوى، محمد سعيد. "منهج التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد ٨٥ صيف (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ٢٠.
توثيق الأطروحات الجامعية	مهورياشة، عبد الحليم. "التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع: مقارنة في إسلامية المعرفة"، رسالة دكتوراه، جامعة سطيف ٢، الجزائر، ٢٠١٤م، ص ١٠٢.
توثيق بحوث المؤتمرات والندوات	النهان، محمد فاروق. "مفهوم الصحة النفسية لدى كل من مسكويه والغزالي"، المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي عن المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، الخرطوم، ١٩٨٧م، ص ١٤.
توثيق المقالات الإنجليزية	Harold, Linstone. "What I Have Learned: The Need for Multiple Perspectives." <i>Futures Research Quarterly</i> 5, Spring 1985, p. 47-61.
توثيق الكتب الإنجليزية	Wayne, Boucher. (ed.). <i>The Study of the Future: An Agenda for Research</i> . Washington, DC: National Science Foundation, 1977, p. 55

Charmaz, Kathy. Ground Theory, In: N. Denzin And Y. Lincoln (Eds.), <i>Handbook Of Qualitative Research</i> , 2 <sup>nd</sup> Ed., (pp.509-536)	توثيق فصل ضمن كتاب محرر بالإنجليزية
﴿قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾ (الملك: ٢٦) توثيق في المتن وليس في الهامش	توثيق الآيات القرآنية
الترمذي، محمد بن عيسى. <b>الجامع الكبير (جامع الترمذي)</b> ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وهيثم عبد الغفور، دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م، كتاب: أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السَّماع، ج ٤، حديث رقم ٢٨٤٩، ص ٥٩٧.	توثيق الحديث النبوي الشريف
الشوربجي، التسمير في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٠٤.	حالة تكرار المرجع بعد ذكر مراجع أخرى
المرجع السابق، ص ٣١١-٣١٢.	حالة تكرار المرجع مباشرة
Ibid., p. 94	حالة تكرار المرجع مباشرة بالإنجليزية
Hamilton, Academic ethics, 55	تكرار المرجع بعد مراجع أخرى بالإنجليزية
دكتوراه في مقارنة الأديان، جامعة تامبل، ١٩٨٩م، أستاذ مشارك في قسم أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. katib@yahoo.com	نموذج التعريف بالكاتب

## نموذج المشاركة

الاسم كاملاً : .....

الجنسية: .....

التخصص العام:..... التخصص الدقيق:.....

الدرجة العلمية:.....

مكان العمل:.....

الهاتف النقال أو الثابت:.....

البريد الإلكتروني:.....

الحقل المراد الاشتراك فيه:

علم النفس

علم الاجتماع



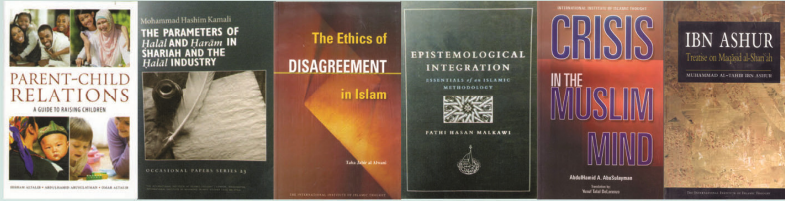
## إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

ينشر المعهد كتباً متخصصة في الموضوعات التي يستكتب فيها المؤلفين، أو ما يختاره من المخطوطات والرسائل الجامعية، التي تصله لأغراض النشر، ويجد أنها تتميز بإسهامات فكرية مهمة.

ويصدر المعهد وقائع المؤتمرات والندوات، التي ينظمها، في مجلدات متخصصة تتضمن البحوث التي تقدم فيها، إضافة إلى المناقشات والتوصيات.

وتُنشر هذه الكتب باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، وتتم ترجمة بعض الكتب من لغة إلى أخرى، وبخاصة بين العربية والإنجليزية، وترجمت بعض أعمال المعهد إلى خمس وعشرين لغة أخرى.

وتنشر مكاتب المعهد كتباً باللغات المحلية، لا سيّما لغات الشعوب الإسلامية: الأوردية والماليزية والاندونيسية والتركية والفارسية والأبانية والبنغالية والبوسنية والكردية والتاميلية وغيرها.



## المكتب الرئيسي

The International Institute of Islamic Thought  
P.O.Box: 669 Hemdon, VA 20172 - USA  
Tel.: (1-703) 471 1133, Fax: (1-703) 471 3922  
www.iiit.org



## صدر حديثاً



## الفكر المقاصدي

## في تفسير القرآن

تأليف: عبد الله أكرام

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

٤٤٨ صفحة

يجلي مدى إسهام مدرسة المنار في إحياء الفكر المقاصدي، وإعماله في أنشطتها الفكرية والدعوية والاجتماعية والسياسية، مع ربط مقاصد الشارع ومقاصد المكلف بأهداف الأمة، وتنزيل هذا الفكر على أرض الواقع، وتفعيل مقاصد الشرع في حل مشاكل الأمة حسبما تسمح به الظروف السياسية. وذلك من خلال تفسير المنار الذي يعد وثيقة هامة لفكر المدرسة، حيث يتضمن زبدة مؤلفات أعلام المدرسة.

ويرصد إسهام هذا التفسير في بيان مقاصد القرآن، وإبراز خصائص تشريعاته وأحكامه، وأهم القضايا التي استأثرت باهتمام صاحبه، واقترحها مجالات للإصلاح في المجتمع الإسلامي، وانخرط في كثير منها هو وثلة من العلماء والمفكرين أوائل القرن المنصرم.

ويتتبع معالم الفكر المقاصدي في هذه المعالجة، سواء على مستوى المصطلح الموظف، أو على مستوى القواعد، أو المسالك المتبعة في استنباط واستخلاص مقاصد الشارع من الأحكام، عامة كانت أو خاصة أو جزئية.

ويرتب المقاصد التي أفاض فيها المنار وفق الترتيب المدرسي لأقسامها، ويخصص حيزاً مهماً لمقاصد القرآن، ومقاصد البعثة، كما تناولها هذا التفسير في الجزء الحادي عشر بتفصيل.

## قواعد النشر وتعليمات إعداد البحوث

- يشترط في البحث أن يتوافق مع أهداف المجلة ومحاورها، وأن يتراوح حجمه بين ستة آلاف عشرة آلاف كلمة مع الهوامش، وأن لا يكون قد نُشر أو قَدّم للنشر في أي مكان آخر. والمجلة غير ملزمة بإعادة الأبحاث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- تنظم مادة البحث ضمن مقدمة مناسبة حوالي خمسمائة إلى ألف كلمة تتضمن بيان موضوع البحث وأهدافه وأهميته وطبيعة الأدبيات المتوافرة حوله. وخاتمة بنفس الحجم تتضمن خلاصة البحث وأهم نتائجه وتوصياته. والمقصود بخلاصة البحث هنا هي فكرة مركزية لمجمل الأفكار الأساسية التي يود الباحث أن يتجه تفكير القارئ إليها، والمقصود بالنتائج الإضافة المعرفية التي تمثل قمة البحث وأفضل عطاء لصاحبه في موضوع البحث. والمقصود بالتوصيات بيان الأسئلة التي أثارها البحث وحاجتها إلى إجابات عن طريق مزيد من البحوث، وكذلك بيان القرارات التي تقتضي من المعنيين بأمرها الأخذ بها إصلاحاً للواقع. أما جسم البحث الرئيسي فتتنظم مادته في عدد من الأقسام ٣-٥ مع عناوين فرعية مناسبة لكل قسم مرقمة بكلمات: أولاً، وثانياً، وثالثاً... وإذا لزم تقسيم أي عنوان إلى عناوين فرعية فإنها ترقم بأرقام ٢ و ٣
- يعطى صاحب البحث المنشور عشر فصولات (مستللات) من بحثه المنشور، ويكون للمجلة حق إعادة نشر البحث منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى لغة أخرى، دون الحاجة إلى استئذان صاحب البحث.
- يكون التوثيق في مجلة "إسلامية المعرفة" على الوجه التالي:
  - الالتزام بقواعد التوثيق المعمول بها في المجلة.
  - توثيق الآيات القرآنية بعد نص الآية مباشرة في المتن وليس في الهامش ويتم ذلك بين قوسين مع وضع اسم السورة تليها نقطتان رأسيان ثم رقم الآية؛ مثال: (البقرة: ٨٧-٧٩)
  - توثق الأحاديث الشريفة بالرجوع إلى كتب الحديث المطبوعة بالإشارة إلى الكتاب المطبوع وبعد ذلك استكمال جميع المعلومات البيبلوغرافية من دار نشر، إلى مكان النشر..
  - عند توثيق الكتب أو المجالات يتم التركيز على البدء بالاسم الأخير للمؤلف واستكمال بيانات التوثيق البيبلوغرافية بما فيها بلد النشر والكتاب ودار النشر، وسنة النشر وأرقام الصفحات والجزء الذي أخذت منه المعلومة، مع ضرورة إبراز عنوان الكتاب أو المجلة بالخط الأسود الغامق.

## قسمة اشتراك في إسلامية المعرفة

أرجو قبول / تجديد اشتراكي بـ (.....) نسخة اعتباراً من العدد (.....) ولمدة (.....) عام.

طيه صك/ حوالة بريدية بقيمة .....

الاسم .....

العنوان .....

التوقيع .....

### الاشتراك السنوي

للأفراد ٥٠ دولاراً - للمؤسسات ١٠٠ دولار أميركي

### التسديد

عن طريق شيك مصرفي مسحوب على البنك الإسلامي الأردني لأمر:

المعهد العالمي للفكر الإسلامي (مكتب الأردن)

جبل اللويذة - شارع كلية الشريعة - مبنى رقم (٥٦)

عمان - الأردن

الهاتف: 0096264611420 / الفاكس: 0096264611421

أو تحويل المبلغ إلى العنوان الآتي:

**International Institute of Islamic Thought**

**Jordan Islamic Bank**

**IBAN: JO93JIBA0020000025019410400005**

**P.O.Box: 9489 Amman 11191 Jordan**

### سعر العدد:

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل، سوريا: ٧٥ ل.س، الأردن: ١,٥ دينار، العراق: ١٠٠٠ دينار، الكويت: ١,٥

دينار، الإمارات العربية: ٢٠ درهم، البحرين: ١,٥ دينار، قطر: ٢٠ ريالاً، السعودية: ١٠ ريالاً،

اليمن: ١٥٠ ريالاً، مصر: ١٠ جنيهاً، السودان: ٦٠٠ جنيه، الصومال: ٢٠ شلناً، ليبيا: ٣ دنانير،

الجزائر: ٥٠ دينار، تونس: ديناران، المغرب: ٢٥ درهماً، موريتانيا: ٢٥٠ أوقية، قبرص: ٣ جنيهاً،

الاتحاد الأوروبي: ٥,٥ يورو، بريطانيا: ٤ جنيهاً، أمريكا وسائر الدول الأخرى ١٠ دولارات.



## المعهد العالمي للفكر الإسلامي

مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت في الولايات المتحدة في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ/١٩٨١م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانية وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.
- ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:
- عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر النتائج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلمية والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.
- وللمعهد مكاتب وفروع في عدد من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقيات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية والإسلامية والغربية وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought

.Grove Street, 2nd Floor, Herndon 500

Virginia 20170 USA

Tel: 1-703-471 1133

Fax: 1-703-471 3922

URL: <http://www.iiit.org> - Email: [iiit@iiit.org](mailto:iiit@iiit.org)

# Islāmīyat al Ma'rifah

## Journal of Contemporary Islamic Thought

An International Refereed Academic Journal  
Published Quarterly by  
The International Institute of Islamic Thought



1401 هـ - 1981 م  
1981AC - 1401AH

Vol. 22

No. 88

Spring 1438 AH / 2017 AC  
ISSN 1729-4193